

السَّيَرُ الرَّابِعُ عَشَرَ

على لسان حفيده
الإمام زين العابدين ؑ

تأليف
المستشرق والمفتي (الرحماني)



الرسول الأعظم
على
لسان حفيده

الرسول الأعظم (ص)

على لسان حفيده

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

تأليف

المير محمد الحسن (الحسيني) اللاميني

سرشناسه	حسینی امینی، محسن، ۱۳۱۲.
عنوان و پدیدار	الرسول الأعظم علی لسان حنفیه الامام زین العابدین ؑ تألیف محسن الحسینی الامینی.
مشخصات نشر	قم: پیام امام هادی ؑ، ۱۳۸۵.
مشخصات ظاهری	۱۵۵ ص.
شابک	۸۰۰۰ ریال 964-8837-02-3
یادداشت	فیا
یادداشت	کتابنامه [۱۲۹]-۱۵۵: همچنین به صورت زیر نویس.
موضوع	علی بن حسین ؑ، امام چهارم: ۳۸-۹۶ ق. - احادیث.
موضوع	محمد ؑ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. - احادیث.
موضوع	محمد ؑ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. - کلمات لغوی.
رده بندی کنگره	۵ر ح ۵۴۳/۱ BP۴۳
رده بندی دیویی	۲۹۷/۹۵۴
شماره کتابخانه ملی	۸۵.۲۴۲۱۹

هویه الكتاب:

- اسم الكتاب: الرسول الأعظم علی لسان حنفیه.
- المؤلف: السيد محسن الحسینی الامینی
- الطبعة الأولى: ۱۴۲۷ ق - ۱۳۸۵ ش
- الكمية: ۳۰۰۰
- الناشر: پیام امام هادی ؑ
- المطبعة: اعتماد - قم - ایران
- السعر: ۸۰۰ تومان
- شابک: ۹۶۴-۸۸۳۷-۰۲-۳

ISBN: 964 - 8837 - 02 - 3

EAN: 9789648837025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء و
المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين.

و بعد:

فإن السيد قائد الجمهورية الإسلامية آية الله الخامنهي حفظه الله
قد سمى هذه السنة الهجرية الشمسية أي عام ١٣٨٥ بـ «عام الرسول
الأعظم» فرأينا من المناسب أن نذكر نبذة من حياته عليه السلام بلسان حفيده
زين العابدين و سيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليه السلام، وقد ذكر ذلك على نهج الدعاء لأن الدعاء وسيلة الارتباط
بالله تعالى، ومنهاج للتربية، تتأصل به شخصية المسلم وتهذب أخلاقه
وسلوكه، ويرقى بالإنسان إلى مدارج الكمال، والإنعتاق من كل ألوان
العبودية لغير الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: «قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ»^(١)

٦ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

و نتيجة لهذا الدور المهم للدعاء، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة، و قدرة فائقة على أساليب التعبير العربي و ذهنية ربانية تتفتق عن أروع المعاني و أدقها في تصوير صلة الإنسان بربه و وجده بخالقه و تعلقه بمبدئه و معاده و تجسيدا ما يعبر عنه ذلك من قيم خليقة و حقوق و واجبات، في كتابه المسمى بالصحيفة السجادية فهي مسحة من العلم الإلهي، و فيها عبقة من الكلام النبوي، كيف لا و هي قبس من نور مشكاة الرسالة و نفحة من شميم رياض الإمامة، حتى قال بعض العارفين: إنها تجري مجرى التنزيلات السماوية، و تسير مسير الصحف اللوحية و العرشية، لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة و ثمار حدائق الحكمة، و كان أحبار العلماء و جهابذة القدماء من السلف الصالح يلقبونها بـ «زبور آل محمد»، و إنجيل أهل البيت عليهم السلام.

قال الشيخ الجليل محمد بن علي بن شهر آشوب في معالم العلماء في ترجمة المتوكل بن عمير: روى عن يحيى بن زيد بن علي عليه السلام دعاء الصحيفة و تلقب بـ «زبور آل محمد عليه السلام» ^(١) سهاها عند ترجمته ليحيى بن علي بن محمد بن الحسين الرقي بـ «إنجيل أهل البيت عليهم السلام» ^(٢)

و أما بلاغة بيانها، و براعة تبيانها: فعندها تخضع سحرة الكلام، و تدعن بالعجز عقول الأعلام، و تعترف بأن النبوة غير الكهانة، و لا يستوي الحق و الباطل في المكانة، و من حام حول سمائها بفاسق فكره الواقب رمى من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب.

و هي مجموعة من الأدعية المأثورة عن الإمام زين العابدين و

١-معالم العلماء: ص ١٢٥، الرقم ٨٤٧

٢-معالم العلماء: ص ١٣١، الرقم ٨٨٦

سيد الساجدين، و قدوة المقتدين، إمام المؤمنين أبي الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و هو الرابع من أئمة أهل البيت، و جدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و وصيّ رسول الله ﷺ و أول من أسلم، و كان منه بمنزلة هارون من موسى كما صحّ في الحديث.

و جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ و بضعته و فلذة كبده و سيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها.

و أبوه الإمام الحسين عليه السلام أحد سيّدي شباب أهل الجنة، سبط الرسول و ريحانته، و قال جدّه: «حسين مّنيّ و أنا من حسين» و هو الذي استشهد في يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام و المسلمين.

و أمّه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهریار بن كسرى، و قيل: كان اسمها شهربانويه. و فيه يقول أبو الأسود الدئلي:

و إنّ غلاماً بين كسرى و هاشم لأكرم من نيّط عليه التمام

و قد ولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام بالمدينة سنة ثمان و ثلاثين من الهجرة قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام بستين، فعاش في كنف جدّه سنتين، ثم نشأ في مدرسة عمّه الحسن عليه السلام اثنتي عشر سنة، و مع أبيه الحسين عليه السلام ثلاثاً و عشرين سنة، و عاش بعد أبيه أربعاً و ثلاثين سنة، و توفّي بالمدينة المنورة سنة خمس و تسعين للهجرة، و له يومئذ سبع و خمسون سنة، و دفن بالبقيع بجانب عمّه الحسن عليه السلام في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب عليه السلام.

و كان يقال له: ذو الثغفات جمع ثغنة بكسر الفاء. و هي من الإنسان

٨ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

الركبة، وجمع الساق والفخذ، لأنَّ طول السجود أثار في ثناته.
وبرز على الصعيد العلمي والديني إماماً في الدين، وماناراً في العلم، و
مرجعاً في الحلال والحرام، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، و
آمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، واتباعه الواعون منهم
إلى زعامته وفقهه ومرجعيته.

قال الزهري: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا
أفقه منه^(١).

وقال في كلام آخر: ما رأيت قرشياً أورع منه ولا أفضل^(٢).
وكان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، وكانت الرياح تميله
بمنزلة السنبلة^(٣).

وكان كثير الصدقة بالليل، وكان يقول: صدقة الليل تطفئ غضب
الرب، وتنور القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة، وقد
قاسم الله تعالى ماله مرتين^(٤).

وروى أبو الفرج الإصفهاني بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: كان
علي بن الحسين عليه السلام يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به، ويقول:
إن صدقة الليل تطفئ غضب الرب^(٥).

١- الأغاني: ج ١٥، ص ٣١٥، و تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص ٣٣١، والإرشاد
للشيخ المفيد: ص ٢٥٧.

٢- البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٠٩.

٣- الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٢٥٦، والهداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠.

٤- البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠، وحلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٦.

٥- الأغاني: ج ١٥، ص ٣١٥.

وفي رواية: إنه كان إذا جنَّ الليل وهدأت العيون قام إلى منزله فجمع ما يبقى فيه من قوت أهله وجعله في جراب ورمى به على عاتقه وخرج إلى دور الفقراء وهو متلثم، ويفرق عليهم، وكثيراً ما كانوا قياماً على أبواهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا به وقالوا: جاء صاحب الجراب^(١). وقال عمرو بن ثابت: لما مات علي بن الحسين عليه السلام ففسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة^(٢).

وقال محمد بن اسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم؟ فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل^(٣).

وقال ابن عائشة: يقول أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرِّ حتى مات علي بن الحسين عليه السلام^(٤).

وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات^(٥).

وفي رواية أبو الفرج، عن جرير بن المغيرة، قال: كان علي بن الحسين

١- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٥٣.

٢- حلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٦، والمناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٥٤.

٣- الأغاني: ج ١٥، ص ٣١٦، وحلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٦، والبداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠.

٤- حلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٦.

٥- البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠، والمناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٥٣، وحلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٦.

١٠.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

يبخل، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة^(١).

وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي فلما انصرف قالوا له: مالك لم تنصرف؟

فقال: إنني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى^(٢).

وكان إذا توضأ يصفر لونه، فإذا قام إلى الصلاة إرتعد من الفرق^(٣).

قيل له في ذلك، فقال: ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي؟^(٤).

ونحوه جاء في تذكرة الخواص: عن عبد الرحمن بن حفص القرشي قال: كان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر لونه، فيقال: ما هذا الذي يعتاك عند الوضوء؟

فقال: أتدرون بين من أريد أن أقف؟^(٥).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، قال: حجّ علي بن الحسين عليه السلام ماشياً فسار من المدينة إلى مكة عشرين يوماً وليلة^(٦).

وعن زرارة بن أعين قال: لقد حجّ عليه السلام على ناقة عشرين حجةً فما قرعها بسوط^(٧).

وفي البداية والنهاية: ولما حجّ أراد أن يلبي فارتعد وقال: أخشى أن

١- الأغاني: ج ١٥، ص ٣١٥.

٢- البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠.

٣- الفرق: الخوف والاضطراب.

٤- البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠.

٥- تذكرة الخواص: ص ٣٢٧.

٦- الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٢٥٦.

٧- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٥٥.

أقول: لبيك اللهم لبيك، فيقال لي: لا لبيك، فشجعوه على التلبية، فلما لبي غشي عليه حتى سقط عن الراحلة^(١).

وعن زرارة بن أعين قال: سمع سائل في جوف الليل وهو يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟، فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه: ذاك علي بن الحسين^(٢).

وعن طاووس: إني لفي الحجر ليلة، إذ دخل علي بن الحسين عليه السلام فقلت: رجل صالح من أهل بيت النبوة لأسمعن دعاءه، فسمعته يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك.

قال: فما دعوت بهن في كرب إلا فرج عني^(٣). وكان عليه السلام كثير البرِّ بأُمَّه، فقيل له: إنك أبرَّ الناس بأُمِّك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة؟ فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها^(٤).

وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا خائفين برسول الله، وأصبح جميع أهل الإسلام آمنين^(٥).

وقد كان للمسلمين عموماً تعلق عاطفي شديد بهذا الإمام وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدة في كل مكان من العالم الإسلامي كما يشير إلى ذلك موقف الحجاج الأعظم منه حينما حجَّ

١- البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠.

٢- الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٢٥٦.

٣- الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٢٥٦، و البداية والنهاية: ج ٩، ص ١١٠.

٤- مسكارم الأخلاق: ج ١، ص ٤٧٦، ح ٣٠/١٦٣٨.

٥- كشف الغمة: ج ٢، ص ٣١٨.

هشام بن عبد الملك و طاف و أراد أن يستلم فلم يقدر على إستلام الحجر الأسود من الزحام فنصب له منبر، فجلس عليه و أطاق به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام و عليه إزار و رداء من أحسن الناس وجهاً و أطيهم رائحة فجعل يطوف فإذا بلغ إلى موضع الحجر انفرجت الجباهير و تنحى حتى يستلمه لعظيم معرفتها بقدره و حبها له على اختلاف بلدانهم و إنتساباتهم، و سأل الشامي عنها قائلاً من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام. فقام الفرزدق قائلاً لكني أنا أعرفه.

فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فأشار الفرزدق به قائلاً:

يا سائلي أين حلّ الجود و الكرم؟

عسدي ببيان إذا طُلبه قدموا

هذا الذي تعرف البطحاء^(١) وطأته

و البيت^(٢) يعرفه و الحلّ و المحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقيّ التقي الطاهر العلم

هذا الذي أحمد المختار والده

صلى عليه إلهى ما جرى القلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه

لخرّ يلثم منه ما وطىء القدم

١- البطحاء: أرض منبسطة، و مسيل واسع في وسطها مكة.

٢- البيت: أي البيت العتيق، الكعبة.

هــذا علي رسول الله والده
أمت هـنور هـداه تهتدي الأمم
هـذا الذي عـسمه الطيـار جعفر
والمقتول حمزة ليث حبه قسم
هـذا ابن سيـدة النسوان فاطمة
و ابن الوصي الذي في سيفه نسـم
إذا رآته قـريش قال قائلها:
إلى مكارم هـذا ينتهي الكرم
يكاد يمـسكه عرفان راحته
ركن الحـطيم إذا ما جاء يستلم
و ليس قـولك مـن هـذا بضائره
العرب تعرف مـن أنكرت و العجم
يـنمي إلى ذروة العـزّ التي قصرت
عن نيلها عرب الإسلام و العجم
يفضي^(١) حياء و يفضى من مهابته
فـا يـكـلـم إلا حين يسهتم
ينجاب^(٢) نور الدجى عن نور غـرّته
كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

١- أغضى عينيه: طبق جفניה حتى لا يبصر شيئاً.

٢- ينجاب: أي ينعكش.

١٤.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

بكفّه خيزران^(١) ريحسه عبق^(٢)

من كفّ أروع^(٣) في عرينه^(٤) شم^(٥)

ما قال: لا قط إلا في تشهده

لو لا التمشهد لكانت لاؤه نعم

مشقة من رسول الله نبعته

طابت عناصره والخيم^(٦) والشم^(٧)

حال أثقال أقوام إذا فدحوا^(٨)

حلو الشائل تحلو عنده نعم

إن قال قال بما يهوى جميعهم

وإن تكلم يوماً زانه الكلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

نجده أنسياء الله قد ختموا

الله فضله قدماً وشرّفه

جسرى بسذاك له في لوحه القلم

١- الخيزران: القصب، شجر هندي وله عروق ممتدة في الأرض.

٢- عبق ككتف: الذي تفوح منه رائحة الطيبة، ورجل عبق: إذا تطهّب بأدنى طيب لم يذهب عنه أياماً.

٣- الأروع: من يعجبك بحسنه.

٤- العرين: الأنف.

٥- الشم: إرتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها، وهو كناية عن الرفعة والعلو.

٦- الخيم بالكر: السجوة والطبيعة.

٧- الشم بكسر الشين، جمع الشيمة: وهي الطبيعة.

٨- فدحه الدين: أي أثقله.

من جدّه دان فضل الأنبياء له
 و فضل أمّته دانت لها الأمم
 عمّ البريّة بالإحسان و انقضت^(١)
 عنها العماية و الإملاق^(٢) و الظلم
 كلتا يديه غياث عمّ نفعهما
 تستوكفان^(٣) و لا يعرفهما عدم
 سهل الخليفة لا تخشى بوادره^(٤)
 يزيّنه خصلتان: الحلم و الكرم
 لا يخلف الوعد ميموناً نقيته^(٥)
 رحب الفناء أريب^(٦) حين يُعترم^(٧)
 من عشر حبّهم: دين، و بغضهم:
 كفر، و قربهم: منجي، و معتصم
 يستدفع السوء و البلوى بحبّهم
 و يستزاد به الإحسان و النعم
 مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم
 في كلّ فرض و محتوم به الكلم

١-انقضت: أي انكشفت.

٢-أملق: أي أنفق ماله حقّ الفقر.

٣-تستوكفان: أي تستفطران.

٤-البادر: جمع البادرة، و هي ما يبدو من حدة الإنسان في الغضب من قول أو فعل.

٥-النقية: نفاذ الرأي.

٦-الأريب: أي العاقل، الحاذق، الكامل.

٧-يعترم (على المجهول) من العرام بمعنى الشدة، أي عاقل إذا أصابته الشدة.

إِنْ عَدَّ أَهْلَ الثُّقَى كَانُوا أَثَمَّتْهُمْ
أَوْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ: هُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
وَلَا يَدَانِسِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرَّمُوا
هَمَّ الْغِيُوثِ إِذَا مَا أَرْمَتْهُ^(١) أَرْمَتْ
وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ^(٢) وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمٌ^(٣)
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْلَلَ الذِّمَّ سَاحَتَهُمْ
خِيَمٌ^(٤) كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْهَنْدِيِّ^(٥) هُضِمَ^(٦)
لَا يَقْبِضُ الْعَسْرَ بَسْطًا مِنْ أَكْفَهُمْ
سَيِّئَانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا^(٧) وَإِنْ عَدَمُوا
أَيُّ الْقَسْبَانِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ؟
لَأَوَلَّيْتُهُ هَذَا أَوْ لَسْتُ نَعَمُ؟
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَلَّيْتُهُذَا
فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

١-الأزمة: الشدة.

٢-الشري: ناحية به غياض و آجام تكون فيها الأسود.

٣-المحتدم: شدة الحمرة في الدم، و الإلتهاب في النار، و المراد: إن شدتهم و غمضهم ملتهب في الحرب.

٤-خيم: جمع الخيمة أي لهم خيم.

٥-الهندي: أي المطر، و يستعار للعطاء الكثير.

٦-هُضِمَ (هضمين) ككتب: جمع هضم، و يقال يد هضم: أي تجود بها لديها.

٧-أثرى إثراء: كثر ماله.

ببيوتهم في فريش يستضاء بها
 في النائبات وعند الحكم أن حُكوا
 فجدهم من فريش في أرومتها
 محمد وعلي بعده علم
 بدر له شاهد والشعب من أحد
 والخندقان^(١) و يوم الفتح قد علموا
 وخير وحنين يشهدان له
 وفي قريضة يوم صيلم^(٢) قتم^(٣)
 مواطن قد علت في كل نائبة
 على الصحابة لم أكرم كما كتموا
 فغضب هشام ومنع جائزته، وقال: ألا قلت فينا مثلها؟
 قال: هات جدأكجده، وأباكأبيه، وأماكأته حتى أقول فيكم مثلها.
 فحبسه بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام
 فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: أعذرنا يا أبا فراس فلو كان
 عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردّها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت
 هذا الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله، وما كنت لأرزا عليه شيئاً.
 فردّها الإمام الهام وقال: بحقّي عليك لما قبلتها، فقد رأى الله مكانك

١- الخندقان: إشارة إلى غزوة الخندق، ووجه التثنية على ما قيل: إمّا لكون الخندق

محيطاً بطرفي المدينة، أو لانقسامه في الحفر بين المهاجرين والأنصار.

٢- الصيلم: الأمر الشديد، والداهية.

٣- القتم من القتام: بمعنى الغبار.

و علم نيتك فقبلها، فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس، فكان مما هجاه به قوله :

أتحبسني بين المدينة و التي إليها قلوب الناس تهوى مُنيها
تقلب رأساً لم يكن رأس سيّد و عيناً له حواء باد عيوبها
فأخبر هشام بذلك فأطلقه. و في رواية أبي بكر العلاف أنّه أخرجه إلى البصرة.

هذه القصيدة مروية بأسانيد و طرق متعدّدة وهي متواترة^(١). و الحقيقة أنّ الصحيفة السجادية تعبر عن عمل إجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء، و مشعل هداية و مدرسة أخلاق و تهذيب، و من الواضح أنّ الإنسانية تظل بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي و تزداد الحاجة كلّما ازداد الشيطان إغراء و الدنيا فتنة.

فنظراً لأهمية هذه الصحيفة الشريفة ألّف العلماء حولها شروحاً كثيرة تبلغ سبعة و أربعين شرحاً كما ذكره صاحب الذريعة^(٢).

و قد قام الفاضل النبيل و العلامة الأريب السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي رحمه الله بشرحها شرحاً وافياً جامعاً ير توي به كلّ ضمّان

١-انظر حلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٩، و الأغاني: ج ٢١، ص ٣٧٨، و الهداية و النهاية: ج ٩، ص ١١٣، و المعجم الكبير: ج ٣، ص ١٠٦، تحت رقم ٢٨٠٠٥، و مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٢٠٠، و ابن عساكر في تاريخ دمشق: ص ٩١، و بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٢٤، و المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٦٩، و غير ذلك من كثير الأعلام الذين نقلوا هذه القصّة.

٢-الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ١٣، ص ٣٤٥ - ٣٥٩.

مقدمة المؤلف ١٩.

لتلك المعارف الإلهية والمسائل العقائدية والعرفانية والاجتماعية و
غيرها وسماه برياض السالكين.

و هانحن نذكر بحول الله تعالى ما شرحه ﷺ من الدعاء الثاني للإمام
زين العابدين عليه السلام الذي يذكر جده و يصلي عليه راجين من الله العلي
التقدير أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله مثمراً في سبيل نشر
معارف مدرسة أهل البيت عليه السلام و تراثهم الفكري.

و أن يوفقنا لخدمة دينه و المساهمة في إعلاء كلمته و هو حسبنا و
نعم الوكيل.

قم المشرفة

السيد محسن الحسيني الاميني

١٥ جمادي الأولى عام ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ
الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَفْجُزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ
عَظُمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطَفَ، فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ دُرَا، وَجَعَلَنَا
شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَعَدَ، وَكَثَّرْنَا بِمُنَّةٍ عَلَى مَنْ قَلَّ.

اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ
صَفِيَّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبْتَ
لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ
حَاضِيَهُ، وَخَازَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِي إِخْيَاءِ دِينِكَ رَحْمَةً، وَأَقْصَى
الْأَذْنَيْنِ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الْأَقْصَيْنِ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى فِيكَ
الْأَبْعَدَيْنِ، وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبَيْنِ، وَأَذَابَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ، وَ
أَتَعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ، وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ، وَهَاجَرَ إِلَى
بِلَادِ الْغُرَبَةِ وَنَحَلَ النَّأْيَ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ، وَمَسْقِطِ

٢٢.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

رَأْسِهِ وَمَانِسِ نَفْسِهِ، إِزَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ
الْكُفْرِ بِكَ، حَتَّى اسْتَتَبَ لَهُ مَا خَاوَلَ فِي أَغْدَانِكَ، وَاسْتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي
أُولِيَّائِكَ، فَتَهَدَّ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِئاً بِعَزْوِكَ، وَتُتَقَوَّيَا عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ،
فَقَرَّاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي مُجْبُوخَةِ قَرَارِهِمْ، حَتَّى ظَهَرَ
أَمْرُكَ وَغَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اللَّهُمَّ فَارْقَعُهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَسَّتِكَ، حَتَّى لَا
يُسَاوِيَ فِي مَنْزِلَةٍ وَلَا يُكَافَأُ فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيهِ لَدَيْكَ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَ
لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَعَرِّفُهُ فِي أَهْلِ الطَّاهِرِينَ وَأُمْتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ
الْشَّفَاعَةِ أَجْلاً مَا وَعَدْتَهُ، يَا نَافِذَ الْعِدَّةِ، يَا وَاثِيَ الْقَوْلِ، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ
بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.



وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ هَذَا
التَّحْمِيدِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

الكلام في هذا المقام يستدعي مباحث:

الأول: إختلف العلماء في اشتقاق الصَّلَاةِ: فقيل: من صَلَّيتِ العود بالنار إذا لَيْتته وقَوْمته لأنَّ المصلِّي يلين بالحنو^(١) والعطف، ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه، كالخشب الذي يعرض على النار.

وقيل: من الصلّوين، وهما عرقان من جانبي الذنب، وعظمان ينحنيان عند الانحناء فناسب أن يراد بها الحنو والإنعطاف المعنويين^(٢).
وقال الزمخشري في الكشاف: الصَّلَاةُ فعلةٌ مِنْ صَلَّى - كالزكاة - مِنْ زَكَّى. وكتبنا بالواو على لفظ المفخم، وحقيقة صَلَّى حرك الصلّوين لأنَّ المصلِّي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده^(٣).

وقيل: بل أصل الصَّلَاةِ في اللُّغَةِ: بمعنى الدعاء.

ويؤيده: بأنَّ الصَّلَاةَ بهذا المعنى في أشعار الجاهليّة كثيرة الإستعمال.
الثاني: قال الجمهور: الصَّلَاةُ من الله تعالى: الرِّحْمَةُ، ومن الملائكة الإستغفار، ومن الآدميين: الدعاء.

الثالث: معنى الصَّلَاةِ على رسول الله ﷺ تعظيمه في الدنيا بإعلاء كلمته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في درجته.
قيل: وغاية الدعاء بذلك عائدة إلى المصلّي، لأنَّ الله تعالى قد أعطاه من إعلاء الكلمة وعلو الدرجة ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلاة مصلّي

١- الحنو: الشفقة.

٢- تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٧٩.

٣- الكشاف: ج ١، ص ٤٠.

ولا دعاء داع.

وقيل: بل غايته طلب زيادة كماله ﷺ وقربه من الله تعالى، إذ مراتب
إستحقاق نعم الله عز وجل غير متناهية.

الرابع: الصلوة عليه ﷺ في غير الصلوة وعند عدم ذكره مستحبة
عند جميع أهل الإسلام، ولا يعرف من قال: بوجوبها غير الكرخي فإنه
أوجبها في العمر مرة كما في الشهادتين. وأما في الصلوة فأجمع علماؤنا
رضوان الله عليهم على وجوبها في التشهدين معاً.
قال الشافعي^(١): وهي مستحبة في الأول وواجبة في الثاني^(٢).

١- هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، ينتهي نسبه إلى عبد مناف.
والشافعي أحد أئمة المذاهب الأربعة، ولد سنة ١٥٠ هـ بخرقة، ونشأ بمكة، وكتب
العلم بها والمدينة، وكان شديد التشيع وهو القائل:
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان إني رافضي
وله حول الولاية أشعار كثيرة و مدائح غفيرة، منها: هذان البيتان
المشهوران:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له
ومنها:

إذا في مجلس ذكرسوا علياً وشبهه و فاطمة الزكوة
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضة
هربت إلى المهيمن من أناس يرون الرض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي و لعنته لتلك الجاهلية

٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج ١، ص ٣٢، والفقهاء على المذاهب الأربعة:

ج ١، ص ٢٣٦ و ٢٤٤.

في وجوب أو استحباب الصلاة على محمد وآل محمد ٢٥.

و قال أبو حنيفة^(١) و مالك^(٢): مستحبّة فيها معاً^(٣).

و أما عند ذكره عليه السلام فظاهر كثير من الأخبار كقوله عليه السلام: من ذكرت عنده ولم يصلّ عليّ دخل النار، و من ذكرت عنده فنسي الصّلاة عليّ خطيء به طريق الجنّة^(٤).

و قوله: من ذكرت عنده ولم يصلّ عليّ فدخل النار فأبعده الله^(٥).
إنها تجب كلّها ذكر، وكلّهما سمع ذكره، لأنّ الوعيد امارة الوجوب، وهو مختار ابن باويه و المقداد من أصحابنا، و الطحاوي من العامة.
قال الزمخشري: و هو الذي يقتضيه الإحتياط^(٦).

و منهم من أوجبها في كلّ مجلس مرّة، و منهم من أوجبها في العمر مرّة.
و قال المحقق الأردبيلي: لا شك أنّ إحتياط الزمخشري أحوط، و

١- هو النعمان بن ثابت بن زوطى أحد أصحاب المذاهب الأربعة صاحب الرأي و القياس و الفتاوى المعروفة في الفقه، ولد سنة ثمانين و مات سنة مائة و خمسين هجري في بغداد. و دفن في مقبرة الخيزران، و عاش سبعين سنة، و تتلمذ على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث قال عنها: لو لا الستتان هلك النعمان.

٢- هو أبو عبد الله مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الأربعة، ولد في المدينة المنورة سنة ٩٥ هجرية، و توفي سنة ١٧٩ هجرية و دفن بالبقيع في المدينة، و تتلمذ على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كما جاء في مقدمة الموطأ، و الموطأ كتاب جمع فيه الأحاديث النبوية و الفقه معاً.

٣- الفقه على المذاهب الأربعة: ج ١، ص ٢٤٢ - ٢٤٣، و بداية المجتهد و نهاية المقصد: ج ١، ص ١٣٢.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٥، ح ١٩، و نواب الأعمال: ص ٢٠٦، باب ٨ ح ١.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٥، ح ١٩.

٦- الكشف: ج ٣، ص ٥٥٨.

٢٦.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

يمكن إختيار الوجوب في مجلس إن صلى آخرأً، وإن صلى ثم ذكر يجب أيضاً كما في تعدد الكفارة في تعدد الموجب إذا تخللت، وإلا فلا إنتهى^(١).
والحق: إن هذه التفاصيل عريّة عن المستند، فالقول بشيء منها تحكم به.

و الأولى: الوجوب عند كلّما ذكر، للأخبار الكثيرة الصريحة بالأمر بها كلّما ذكر، والأصل في الأمر: الوجوب.

و أما القول بالإستحباب مطلقاً كما ذهب إليه جماعة مستدلّين بالأصل و الشهرة المستنديين إلى عدم تعليمه ﷺ للمؤذنين و تركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم كما يفعلون الآن ولو كان لنقل.
ففيه: إن عدم التعليم ممنوع، وكذا عدم النكير، كعدم النقل.

فقد روى ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي في باب بدء الأذان و الإقامة بإسناده عن أبي جعفر رحمه الله: إذا أذنت فأفصح بالألف و الهاء و صلّ على النبي ﷺ كلّما ذكرته، أو ذكره ذاكر في أذان و غيره^(٢).

على أن عدم النقل لا يدلّ على عدمه، و أصالة البرائة لا يصحّ التمسك بها بعد ورود القرآن و الأخبار به.

ثم الظاهر من بعض الأخبار كقول الصادق رحمه الله: إذا ذكر النبي ﷺ فأكثرُوا الصّلاة عليه^(٣).

حيث رتب الأمر بالصّلاة على الذكر بالفاء التعقيبيّة هو إبقاؤها على الفور، فلو أهمل الفور أثم على القول بالوجوب و لم تسقط، وكذا الظاهر

١-زبدة البيان في أحكام القرآن: ص ٨٦ و فيه: يتعدّد الموجب.

٢-الكافي: ج ٣، ص ٣٠٣، ح ٧.

٣-الكافي: ج ٢، ص ٤٩٢، ح ٦.

في وجوب أو استحباب الصلاة على محمد وآل محمد ٢٧.

أَنَّ الأمر بها عام لكلِّ أحدٍ وعلى كلِّ حالة حتَّى في الصَّلَاة فلو ترك الإمتثال واشتغل بالقراءة فيها هل تبطل الصَّلَاة على تقدير الوجوب أم لا؟ فإن قلنا: إنَّ الأمر بالشيء نهي عن ضده الخاص، والنهي في العبادة يقتضي الفساد بطلت، وإن قلنا بعدمه فلا وهو الراجع.

فلو تكرر الذكر تكراراً بحيث يخرج بالإشتغال بالصَّلَاة عليه ﷺ عن كونه مصلياً. لا يبعد القول بسقوط التكليف بها، لأنَّ الفعلين إذا تضيقا وتعذر الجمع بينهما علمنا أنَّ أحدهما ليس بواجب قطعاً، ولما كان مشغلاً بالصَّلَاة ووجب إتمامها والإستمرار فيها، كان ما ينافيه غير مأمور به ليتأمل.

الخامس: إنَّما كان ﷺ يدعو بالصَّلَاة عليه صلوات الله عليه وعلى آله بعد التحميد لما ورد في ذلك عن جدِّه ﷺ، فعن أبي عبد الله ﷺ: إنَّ رجلاً دخل المسجد فصلَّى ركعتين، ثم سأل الله عزَّ وجلَّ، فقال رسول الله ﷺ: أعجل العبد ربَّه.

وجاء آخر فصلَّى ركعتين، ثم أتى على الله عزَّ وجلَّ وصلى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: سل تعطَّ^(١).

وعنه ﷺ: إنَّ في كتاب علي ﷺ: إنَّ الثناء على الله، والصَّلَاة على رسوله قبل المسألة^(٢).

ولو لم يرد ذلك لكان فعله ﷺ أيضاً حجةً وسنةً ينبغي اقتفاؤها، ثم الصَّلَاة على النبي ﷺ من أعظم شروط الإجابة.

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال:

١- الكافي: ج ٢، ص ٤٨٥، ح ٧، وفيه «عجل العبد ربَّه».

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٨٥، ح ٧.

لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد^(١).

وعنه عليه السلام: من دعا ولم يذكر النبي ﷺ رُفِرَ الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبي ﷺ رفع الدعاء^(٢).

قال العلماء: والسِّرُّ في قبول الدعاء إذا قرن بالصلاة، أمران:

الأول: أن النبي وآله ﷺ وسائط بين الله سبحانه وبين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم، وهم أبواب معرفته عز وجل، فلا بد من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء وقبوله لديه، وذلك كما إذا أراد أحد من الرعية إظهار حاجته على السلطان توسل بمن يعظمه ولا يردّ قوله. الثاني: إذا ضمّ العبد الصلاة مع دعائه، وعرض المجموع على الله تعالى فلما كانت الصلاة غير محجوبة، فالدعاء أيضاً لا بد أن لا يكون محجوباً، لأنه تعالى أكرم من أن يقبل الصلاة ويردّ الدعاء فيكون قد قبل الصحيح وردّ المعيب، كيف وقد نهى تعالى عباده عن تبغيض الصفة! ولا يمكن ردّ الجميع لكرامة الصلاة عليه، فلم يبق إلا قبول الكلّ وهو المطلوب.

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على النبي ﷺ، ثم إسأل حاجتك فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى^(٣).

السادس: الأخبار في فضل الصلاة عليه ﷺ أكثر من أن تحصي:

فنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا

١-الكافي: ج ٢، ص ٤٩١، ح ١.

٢-الكافي: ج ٢، ص ٤٩١، ح ٢.

٣-نهج البلاغة: ص ٥٣٨، الحكمة: ٣٦١.

في فضل الصلاة على محمد وآل محمد ٢٩.

ذكر النبي ﷺ فأكثرُوا الصَّلَاةَ عليه فإنه من صَلَّى على النبي صلاة واحدة صَلَّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صَلَّى على العبد لصلاة الله عليه و صلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برأ الله منه ورسوله وأهل بيته^(١).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من صَلَّى عليَّ صَلَّى الله عليه و ملائكته، فمن شاء فليقل، ومن شاء فليكثر^(٢).

وعنه ﷺ: من صَلَّى على محمد وآل محمد عشرًا صَلَّى الله عليه و ملائكته ألفاً، أما تسمع قول الله عز وجل: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^{(٣)(٤)}.

و عن أحدهما ﷺ قال: ما في الميزان شيء أثقل من الصَّلَاةِ على محمد وآل محمد، وأن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج صلى الله عليه وآله - الصَّلَاةُ عليه - فيضعها في ميزانه فترجع [به]^(٥).

و عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إرفعوا أصواتكم بالصَّلَاةِ عليَّ فإنها تذهب بالنفاق^(٦).

السابع: ما وقع في عنوان هذا الدعاء من قوله ﷺ بالعطف على

١- الكافي ج ٢، ص ٤٩٢، ح ٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٢، ح ٧.

٣- الأحزاب: ٤٣.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٣ - ٤٩٤، ح ١٤.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٤، ح ١٥.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٣، ح ١٣.

٣٠.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

الضمير المجرور من دون إعادة الخافض، مبني على مذهب الكوفيين، و
يونس، و الأخفش من البصريين، من عدم وجوب إعادة الخافض في
ذلك خلافاً لجمهور البصريين واختاره الشلوين، وصححه ابن مالك، و
أبو حيان و جرى عليه ابن هشام في شرح الشذور^(١).

و التوضيح لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة: «وَأَتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»^(٢) بخفض الأرحام^(٣) عطفاً على الضمير
المخفض بالباء، و حكاية قطرب: ما فيها غيره و فرسه بخفض الفرس
عطفاً على الماء المخفوضة بإضافة غير إليها و قول الشاعر:
فاذهب لما بك و الأيام من عجب^(٤)

بخفض الأيام عطفاً على الكاف المخفوفة بالباء، و إلى ذلك أشار ابن
مالك بقوله في الخلاصة:

و عود خافض كدى عطف على

ضمير خفض لازماً قد جُعِلَا

و ليس عندي لازماً إذ قد أتى

في التثنية و النظم الصحيح مثبتاً^(٥)

أما ما زعمه بعضهم: من أن الشيعة تلتزم عدم إعادة الخافض و هو

١-شذور الذهب: ص ٣٣٢.

٢-النساء: ١.

٣-مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١.

٤-مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢، أنشده سيويه، و صدر البيت:

فاليوم قربت تهجونا و تشمتنا.

٥-كتاب السيوطي: ص ١٦٧ - ١٦٨.

في فضل الصلاة على محمد وآل محمد ٣١.

«علي» في مثل هذه العبارة، لحديث يأترونه وهو: «من فصل بيني وبين آل بي - علي - فقد جفاني» فزعم محض لا عين له ولا أثر، إذ لا تعرف الشيعة هذا الخبر ولم تردده رواية من طرقهم، بل لم يذكروا ولا منقطعاً في شيء من كتبهم، كيف والأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام مشحونة بإعادة الخافض في مثل ذلك كما ستقف عليه مكرراً في أدعية الصحيفة الشريفة والله المستعان.



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ
نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ
الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ.

«الواو» عاطفة للجملة على قوله في الدعاء السابق: ثم له الحمد،
لأنه ﷺ كان يصل هذا الدعاء به من غير فصل كما هو ظاهر العنوان
أو هي استثنائية.

و معنى «المن» ها هنا: الإنعام على من لا يطلب الجزاء منه، وفيه
إشارة إلى قوله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ»^(١).

و «محمد» علم منقول من الصفة التي معناها كثير الخصال المحمودة.
قال أهل اللغة: رجل محمد: أي كثير الخصال المحمودة^(٢).

و قال ابن فارس: سمي نبينا محمد ﷺ محمداً لكثرة خصاله
المحمودة^(٣). يعني أكرم الله تعالى أهله تسميته بذلك لما علم من
خصاله الحميدة.

و قال السهيلي: في «محمد» معنى المبالغة والتكرار، فالمحمد هو الذي
حمد مرة بعد مرة، كما أن المكرم من كرم مرة بعد أخرى. وكذلك
الممدوح، واسم محمد مطابق لمعناه.

و الله تعالى سماه به قبل أن يسمى به، وهو علم من أعلام نبوته.

١- آل عمران: ١٦٤.

٢- تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني: ص ٧٠.

٣- معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ١٠٠.

في اشتقاق لفظ محمد ﷺ ٣٣.

إذ كان اسمه صادقاً عليه فهو ﷺ محمود في الدنيا بما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر فيه معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ إنتهى^(١).

و ورد في أخبار كثيرة من طرق أهل البيت عليه السلام عنه ﷺ أنه قال: «سماني الله من فوق عرشه، وشق لي إسماً من أسمائه فسماني محمداً وهو محمود»^(٢).

وأخرج البخاري في تاريخه الصغير: من طريق علي بن زيد، قال: كان أبو طالب يقول:

وَشَقَّ مِنْ إِسْمِهِ لِجَلَّةُ فذوالعرش محمودٌ وهذا محمد^(٣)
قال القسطلاني في المواهب: وقد سمأه الله تعالى بهذا الإسم قبل الخلق بالني عام، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبي نعيم في مناجاة موسى عليه السلام^(٤).

قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته ﷺ إنه لم يسم أحد قبله بإسمه محمد، صيانة من الله بهذا الإسم كما فعل يحيى إذ «لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا»^(٥).

و ذلك أنه تعالى سمأه في الكتب المتقدمة وبشر به الأنبياء، فلو جعل

١- تاج العروس: ج ٢، ص ٣٣٩، من غير أن ينسبه إلى أحد.

٢- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٩٢، ج ٢٧، والمحصل: ص ٤٢٥، ح ١، ومعاني الأخبار: ص ٥٠، ح ١، وشق: أي فصل.

٣- شرح المواهب: ج ٣، ص ١٥٥، نقلاً عنه.

٤- شرح المواهب: ج ٣، ص ١٥٦.

٥- مريم: ٧.

٣٤.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

إسمه مشتركاً فيه لوقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمانه وبشر أهل الكتاب بقربه سُمي قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو «الله أعلم حيث يجعل رسالته» (١) (٢).

وهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، خاتم النبيين، و سيد المرسلين، حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى ليلة الجمعة، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وولد ﷺ بمكة يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل وفاقاً لما عليه جمهور الشيعة. وعند جمهور العامة: أنه ولد يوم الإثنين من ربيع الأول ثم اختلفوا، ف قيل: لليلتين خلتا منه، و قيل: لثمان خلون منه، و قيل: لعشرة، و قيل لاثنتي عشرة ليلة، و عليه عمل أهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت و وافقهم على ذلك من أصحابنا ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في الكافي (٣).

و قيل: ولد يوم عاشوراء، و قيل: في صفر، و قيل: في ربيع الآخر، و قيل: في رجب، و قيل في شهر رمضان.

و روي عن ابن عباس بإسناد لا يصح، و هو موافق للقول بأن أمه حملت به في أيام التشريق (٤).

و أما على المشهور بأنه ولد في ربيع الأول، فيلزم منه الإشكال

١- الأنعام: ١٢٤.

٢- شرح المواهب: ج ٣ ص ١٥٨، نقلاً عن ابن قتيبة.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤٣٩.

٤- الكافي: ج ١، ص ٤٣٩.

المشهور، وهو أنه يلزم أن يكون مدة حملها ثلاثة أشهر، أو سنة و ثلاثة أشهر. وهذا مخالف لما إتفق عليه الأصحاب من أن مدة الحمل لا تزيد عن سنة، ولم ينقل أحد أن ذلك من خصائصه.

والجواب: إن المراد بأيام التشريق: الأيام المعلومة من شهر جمادي الأولى، الذي وقع فيه حج المشركين في عام الفيل باعتبار النسيء، حيث كانوا يؤخرون الحج عن ذي الحجة فيحجّون سنتين في محرم و سنتين في صفر وهكذا إلى أن يتم الدور ثم يستأنفونه.

وعلى القول بأن مولده كان في ثاني عشر من شهر ربيع الأول يكون مدة الحمل عشرة أشهر بلا زيادة ولا نقصان إذا فرض أن حملها كان في ثاني عشر من جمادي الأولى والله أعلم.

ونقل عن أبي معشر البلخي: وهو من مهرة علم النجوم، أنه استخرج طالع النبي ﷺ فكان عشرين درجة من الجدي حين كان زحل والمشتري في ثالث درجة من العقرب مقترنين في درجة وسط السماء، والمريخ في بيته في الحمل، والشمس أيضاً في الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت، في الشرف، وعطارد أيضاً في الحوت، والقمر في أول الميزان، والرأس الجوزاء في الشرف، والذنب في قوس في الشرف، في بيت الأعداء، ذكر ذلك في روضة الأحباب^(١).

ومات أبوه عبد الله بن عبد المطلب، وهو ابن شهرين أو سبعة أشهر ولما بلغ أربعاً أو ستاً من السنين ماتت أمه، وكان في حجر جده عبد المطلب ثماني سنين و شهرين و عشرة أيام، فتوفي عبد المطلب و وليه

١- روضة الأحباب: كتاب فارسي نقل عنه المجلسي (قدس سره) في بحار الأنوار:

عمّه أبو طالب ﷺ و ذهب به إلى الشام بعد ما تمّ له اثنتا عشرة سنة و
شهران وعشرة أيام، ورجع من بصرى و خرج إلى الشام مرّة أخرى مع
ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوّجها، ثم تزوّجها بعد ما بلغ
خمساً وعشرين، و بقيت معه ثمانية عشرة سنة.

ولما بلغ خمساً و ثلاثين شهد بنيان الكعبة، فلما بلغ أربعين سنة بعثه
الله رحمة للعالمين بشيراً و نذيراً يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع
الأوّل، فما من شجر و حجر إلا سلّم عليه قائلاً: السلام عليك يا رسول
الله، و فرض عليه التبليغ و قراءة القرآن.

ولما تمتّ له إحدى و خمسون سنة و تسعة أشهر أسري به «ثُمَّ دَنَا
فَتَدَلَّى» ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١) و فرض عليه خمس الصلوات،
ولما بلغ ثلاثاً و خمسين هاجر إلى المدينة يوم الإثنين لثمان خلون من
شهر ربيع الأوّل، و دخلها ضحى يوم الإثنين، و أذن له في الجهاد في
السنة الثانية لمن إبتدأه في غير الأشهر الحرم، ثم أبيع له إبتداؤهم فيها
أيضاً و فيها، فرض صوم شهر رمضان.

و اختلفوا في الزكاة هل فرضت قبله أو بعده؟ و فرض الحجّ في السنة
الخامسة أو السادسة؟ و في السنة الخامسة كانت بيعة الرضوان، و في
الثامنة فتح مكّة، و أظلت عليه حمامها^(٢) يومئذ فدعا لها بالبركة، و في
العاشرة حجّة الوداع و كانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالإجماع، و لم
يحجّ بعد الهجرة إلا إياها و قبلها لم يضبط، و اعتمر أربعاً، و كانت غزواته
سبعاً و عشرين، و سراياه ستّاً و خمسين، و قيل: غير ذلك.

في زوجات النبي ﷺ وأولاده ٣٧.

وتزوج إحدى وعشرين امرأة، وطلق ستاً، وماتت عنده خمس، و
توفي عن عشر واحدة منهن لم يدخل بها، وأولاده ستة ذكراً وهما:
القاسم وإبراهيم، وأربع بنات: وهن فاطمة ﷺ، وزينب، ورقية، و
أم كلثوم، وكلهم من خديجة ﷺ، إلا إبراهيم، هذا هو المتفق عليه، و
اختلف فيما سوى هؤلاء.

ولما بلغ ﷺ ثلاثاً وستين، وقيل: خمساً وستين إختاره الرفيق
الأعلى يوم الإثنين للهلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة،
وقيل: لثنتي عشرة خلت من أول ربيعي السنة المذكورة، ودفن ليلة
الثلاثاء أو الأربعاء في حجرته التي قبض فيها.

هذه نبذة مما ذكره أرباب السير. وفي كون وفاته يوم الإثنين ثاني
عشر أول الربيعين مع كون وقفة عرفة يوم الجمعة في السنة العاشرة
إشكال يعرف بالتأمل.

قوله ﷺ: «دون الأمم الماضية» (دون): بمعنى التجاوز فهي
ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المتكلمين في علينا، والعامل فيه
«مَنْ» أي مَنْ علينا بمحمد ﷺ، حال كوننا متجاوزين الأمم الماضية في
«المنة به علينا».

وقد يقال: إنها مستعارة من معناها الوضعي الذي هو أدنى مكان
من شيء لقدامه. كما في قول الأعشى:

تريك القذى من دونها وهي دونه (١)

أي تريك القذى قدامها وهي قدامه، فيكون ظرفاً لغواً معمولاً

٣٨.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

لـ«مَنْ» والمعنى: مَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ بين يدي الأمم الماضية:
أي في مستقبلها.

وفي القاموس: إِنَّمَا بِمَعْنَى أَمَامٍ وَوَرَاءَ وَفَوْقَ فَهُوَ «ضَدُّ»^(١).

و على هذا فلا حاجة إلى دعوى الإستعارة، و كما يصح جعلها هنا
بمعنى أَمَامٍ يصح جعلها بمعنى وَرَاءَ أيضاً و هو واضح.

و «الأمم» جمع أُمَّة و هي الجماعة، و أصلها القصد من أُمَّة يَأْتُهُ، أَمَّا:
إذا قصده، كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا أَمْرًا وَاحِدًا وَجْهَةً وَاحِدَةً، وَ تَأْتِي لِمَعَانٍ: الجماعة
مطلقاً، و جماعة أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ، وَ يُقَالُ لِكُلِّ جَيْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ
الْحَيَوَانِ أُمَّةٌ وَ مِنْهُ: لَوْ لَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ تَسْبَحُ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا^(٢).

و مِنْهُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أُمَّةً وَاحِدَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَنْزَلْنَاهُ
كَأَنَّ أُمَّةً»^(٣) وَ بِمَعْنَى حِينَ، وَ مِنْهُ: «وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ»^(٤).

و قوم الرجل: خلق الله، و أُمَّةُ النَّبِيِّ نَوْعَانِ:

أُمَّةُ الْإِجَابَةِ: وَ هُمُ الَّذِينَ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَ صَدَّقُوا نَبَوَّتَهُ، وَ آمَنُوا بِمَا
جَاءَ بِهِ، وَ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ جَاءَ مَدْحُهُمْ بِالْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
«جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»^(٥)، «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»^(٦) وَ كَقَوْلِهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي

١-القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٢٣.

٢-النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٦٨.

٣-النحل: ١٢٠.

٤-يوسف: ٤٥.

٥-البقرة: ١٤٣.

٦-آل عمران: ١١٠.

في بيان معنى القرون السالفة ٣٩.

لأهل الكبائر من أمتي»^(١)، و«إن أمتي يأتون يوم القيامة غرّاً محجلين»^(٢)، وغير ذلك.

وأمة الدعوة: وهم الذين بعث إليهم النبي ﷺ من مسلم وكافر، ومنه قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(٣).

وقوله ﷺ: «والقرون السالفة» القرون: جمع قرن.

قال الهروي: القرن: كلّ طبقة مقترنين في وقت، ومنه قيل لأهل كلّ مدة أو طبقة بعث فيها نبي قلّت السنون أو كثرت: قرن، ومنه الحديث: «خيركم قرني» يعني أصحابي، «ثم الذين يلونهم» يعني التابعين لهم بإحسان، وإشتقاقه: من الإقتران، وقيل القرن: ثمانون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: مائة، وقال ابن الأعرابي: (القرن) الوقت، وقال غيره: قيل للزمان قرن لأنه يقرن أمة بأمة، وعالمياً بعالم، وهو مصدر قرنت جعل إسماً للوقت أو لأهله^(٤)، هذا آخر كلام الهروي.

وفيه أقوال أخر، قال بعضهم: والذي أرى - أن القرن - : كلّ أمة هلكت فلم يبق منها أحد.

«و السالفة» المتقدّمة من سلف فلان من باب - قعد - سلوفاً: تقدّم، ومنه سلف الرجل لأبائه المتقدمين، ويقال: سلف سلفاً محرّكة أي مضى

١- سنن أبي داود: ج ٤، ص ٢٣٦.

٢- مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٤٠٠.

٣- صحيح مسلم: ج ١، ص ١٣٤، ح ٢٤٠.

٤- الفريبيين للفروي: مخطوط في مكتبة جامعة طهران في ذيل باب القاف مع الرا.

٤٠ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

وانقضى، وإنما قيّد ﷺ المنّة علينا به صلى الله عليه وآله المقتضية للحمل مطلقاً، بقوله: «دون الأمم الماضية» لإفادته تعظيم المنّة، وإقتضائه تأكيد الحمد لما في ذلك من الكرامة التي خصّنا تعالى بها دونهم تفضيلاً لنا عليهم، ومزيد عناية بنا لم يحرزوها، إذ كانت الأنبياء والمرسلون فضلاً عن أمهم يتمنون أن يكونوا من أمته ويسألون الله أن يجعلهم منهم، كما وردت به الأخبار المستفيضة من طرق الخاصة والعامة، فمن ذلك ما رواه رئيس المحدثين في كتاب معاني الأخبار بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه كان فيما ناجى الله تعالى به موسى أن قال له: يا موسى لا أقبل الصلاة إلا بمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفاً، وقطع نهاره بذكرى، ولم يبت مصراً على الخطيئة، وعرف حقّ أوليائي وأحبائي.

فقال: يا ربّ تعني بأحبّائك وأوليائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

فقال: هم كذلك يا موسى إلا إني أردت من من أجله خلقت آدم وحواء، ومن من أجله خلقت الجنة والنار.

فقال موسى: يا ربّ ومن هو يا ربّ؟

قال: محمد أحمد شققت اسمه من إسمي، لأنّي أنا المحمود.

فقال موسى: يا ربّ اجعلني من أمته.

قال: يا موسى، أنت من أمته إذا أنت عرفته وعرفت منزلته ومنزلة

أهل بيته^(١) والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن النبي ﷺ قال: إن موسى لما نزلت

عليه التوراة وقرأها وجد فيها ذكر هذه الأمة فقال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد.

في أن المراد من الأمة الماضية أمة محمد ﷺ ٤١.

قال: يا ربِّ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهراً فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا ربِّ إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفسيء^(١)، فاجعلها أمتي.
قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا ربِّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلها أمتي.
قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا ربِّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها أمتي.
قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا ربِّ إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والآخر، و يقتلون مع المسيح الدجال فاجعلها أمتي.
قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا ربِّ فاجعلني من أمة أحمد، فأعطني عند ذلك خصلتين.
فقال: «يَسْمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَانِي فَاخُذْ مَاءً اتَّيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ»^(٢).
قال: قد رضيت يا ربِّ^(٣).

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً والله الحمد.

١- الفسيء: الخراج والغنيمة، المصباح المنير: ص ٤٨٦.

٢- الأعراف: ١٤٤.

٣- حلية الأولياء: ج ٥، ص ٣٨٥، مع اختلاف يسير في العبارة.

بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَفْجِرُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ
عَظُمَ، وَلَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ

«بقدرته» متعلق بقوله: «من علينا» والقدرة فيها، قوّة جسمانيّة
منبئة^(١) في الأعضاء محرّكة لها نحو الأفعال الإختياريّة.

«و العجز» ما يقابل القدرة بهذا المعنى و هو عدها عما من شأنه أن
يقدر، كما في حق الواحد ممّا، إذ لا يقال للجدار مثلاً إنه عاجز و قدرته
تعال تعود إلى إعتبار كون ذاته مصدر الإثارة^(٢)، هذا قول الجمهور.

«و الشئىء» بحسب مفهومه اللغوي يقع على كلّ ما يصحّ أن يعلم و
يخبر عنه كائناتاً ما كان، على أنّه في الأصل مصدر شاء، أطلق على
المفعول، و أكتفى في ذلك بإعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم أو
الإخبار به فقط، فيتناول الواجب و الممكن و الممتنع، و قد يخصّ
بالممكن موجوداً كان أو معدوماً كما هنا لقضيّة إختصاص تعلق القدرة،
به إذا المراد بها التمكن من الإيجاد و الإعدام الخاصين به.

و ذهب القاضي في جمع من الأشاعرة: إلى أنّ الشئىء يختصّ
بالموجود، و أنّ المعدوم لا شيء و لا ذات و لا ماهيّة، و هو أيضاً مذهب
الحكماء على ما نقل عنهم.

قالوا: «الشئىء» اسم لما هو حقيقة الشئىئة، و لا يقع على المعدوم و
المحال، و لا علم بالمحال أصلاً إذ لا شئىئة له، و لا هو ممّا يتمثّل في ذهن أو
يتصوّر في وهم، و إنّما المعلوم المتصوّر المتمثّل في الذهن عنوان المفهوم من
لفظه، و هو ممكن ما من الممكنات ليس في إزائه حقيقة من الحقائق، و

١- منبئة: أي منتشرة.

٢- الإثارة: القدرة.

في معنى الشيء ٤٣.

شيء من الأشياء أبدأ، وإلى الأول ذهب المعتزلة وجماعة من الأشاعرة.
قال الزمخشري و النيسابوري: الشيء: أعمّ العام، كما أن الله أخص
الخاصّ يجري على الجوهر و العرض، و القديم و الحادث، بل على
المعدوم و المحال^(١).

و هذا العام مخصوص بدليل العقل، فمن الأشياء، ما لا تتعلّق القدرة
به كالمستحيل و الواجب وجوده لذاته^(٢).

و قال القطب العلامة^(٣): كلّ من قال: بأنّ الوجود، عين الماهيّة مثل
الأشعري و أتباعه، قال: بأنّ المعدوم ليس بشيء لا تنفاه الماهيّة عند
العدم، و من قال: بأنّ الوجود غيرها، فهم قد اختلفوا في ذلك، و النزاع
إنّما هو في المعدوم الممكن، لا في المعدوم الممتنع فإنّه ليس بشيء عند
الفريقين^(٤)، إنتهى.

و هذا لا يرد على ما صرّح به الزمخشري و النيسابوري لأنّ كلامهما
بحسب مفهومه لغة، و ما ذكره من النزاع إنّما هو في الشبهة بمعنى التحقق
منفكاً عن صفة الوجود، لا في إطلاق لفظ الشيء على مفهومه فإنّه بحث

١-الكشاف: ج ١، ص ٨٧-٨٨

٢-تفسير النيسابوري: ج ١، ص ٦٢.

٣-هو قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي الشافعي الملقب بالعلامة
تلميذ الخواجه نصير الدين الطوسي. قيل: كان وحيد عصره في العقول و كان في
غاية الذكاء، و له تلاميذ كثيرة و تصانيف شهيرة منها: شروحه على القسم الثالث
من المفتاح، و على المختصر الحاجي، و على كليات ابن سينا، توفي بتهربيز ٧١٠
هجرية. الكنى و الانقلاب: ج ٣، ص ٥٩.

٤-لا يوجد لدينا كتابه.

لغوي مرجعه إلى النقل و السماع لا يصلح محلاً لإختلاف العقلاء
الناظرين في المباحث العلمية، ولهذا قال صاحب الكشف: النزاع في هذا
لا ينبغي أن يقع بين المحققين لأنه أمر لفظي، والبحث فيه من وظيفة
أصحاب اللغة^(١)، إنتهى.

تبصرة

قال العلماء: معنى كون قدرته تعالى لا تعجز عن شيء، وكونه على
كل شيء قديراً: إن قدرته لا تعجز عما يمكن تعلق القدرة به وأنه على كل
شيء يصح تعلقها به قدير من كل ماهية إمكانية، أو شئئية تصويرية.
وأما المتنوعات فلا ماهية لها ولا شئئية حتى يصح كونها مقدورة له
تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقص على عموم القدرة، بل القدرة عامة
والفيض شامل والمتنوع لا ذات له، وإنما يخترع العقل في وهمه مفهوماً
يجعله عنواناً لأمر باطل الذات، كشريك الباري، واللا شيء، واجتماع
النقيضين، أو يركب بين معانٍ ممكنة أحادها تركيباً ممتنعاً، فإن كلا من
المتناقضين كالحركة والسكون أمر ممكن خارجاً وعقلاً، وكذا معنى
التركيب والاجتماع، أمر ممكن عيناً وذهناً.

وأما اجتماع المتنافيين، فلا ذات له في الخارج ولا في العقل، لكن
العقل يتصور مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التلفيق ويجعله عنواناً،
ليحكم على أفرادها المقدرة بامتناع الوجود، ومن هنا أطلق على
المستحيل أنه شيء، وإلا فهو لا ماهية له ولا معنى، فلا تعلق للقدرة به.
وأما الحديث المشهور الذي رواه ثقة الإسلام في الكافي: عن علي بن
إبراهيم، عن محمد بن إسحاق الحنّاف، أو عن أبيه، عن محمد بن إسحاق،

قال: إنَّ عبد الله الديباني سأَلَ هشام بن الحكم، فقال له: ألك ربٌّ؟ فقال: بلى، قال: أقادر هو؟ قال، نعم قادر قاهر، قال: أيقدر أن يدخل الدنيا كلها في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ قال هشام: النظر، فقال له: أنظر تك حولاً، ثمَّ خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله أتاني عبد الله الديباني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله و عليك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام كم سألك، فقال: قال لي: كيت وكيت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام كم حواسك، قال: خمس، قال أيها أصغر؟ قال: الناظر، قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقلَّ منها، فقال له: يا هشام فانظر أمامك و فوقك و أخبرني بما ترى، فقال: أرى سماء و أرضاً و دوراً و قصوراً و براريّاً و جبلاً و أنهاراً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلَّ منها، قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا و لا تكبر البيضة، فأكب هشام عليه و قَبَلَ يديه و رأسه و رجليه، و قال: حسبي يا ابن رسول الله^(١). و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

و مثله ما رواه رئيس المحدثين في كتاب التوحيد بسنده إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: هل يقدر ربك أن يجعل السماوات و الأرض و ما بينهما في بيضة؟ قال: نعم و في أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك و هي أقلَّ من البيضة لأنك إذا فتحتها عاينت السماء و الأرض و ما بينهما و لو شاء لأعياك عنها^(٢).

١-الكافي: ج ١، ص ٧٩، ح ٤.

٢-التوحيد: ص ١٣٠، ح ١١.

فقال بعضهم: إنَّ السؤال في ذلك وهو إدخال الكبير مع كبره في الصغير مع صغره، وإن كان من قبيل المتنافيين، فكان حقيقة الجواب عنه أن يقال: إنَّ هذا أمر محال، والمحال غير مقدور عليه، إذ لا ذات له ولا شَيْئَة، إلاَّ أَنَّهُ ﷺ عدل عنه إلى ما ذكره لقصور الأفهام العامية عن إدراك ذلك الوجه، فالذي أفاده ﷺ وجه إقناعي مبناه على المقدمة المشهورة لدى الجمهور: أنَّ الرُّؤية بدخول المرتبَّات في العضو البصري فاكتفى في الجواب بهذا القدر لقبول الخصم له وتسليمه إيَّاه.

قال: والذي يدلُّ على صحَّة ما حملنا عليه غرض هذا الحديث ما رواه في كتاب التوحيد عن أبي عبد الله: قال: قيل لأمير المؤمنين ﷺ: هل يقدر ربُّك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا وتكبر البيضة؟

فقال: إنَّ الله تعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون^(١). وهذا الحديث صريح في أنَّ الذي سأله ذلك الرجل، ممتنع بالذات محال، والمحال لا شَيْئَة له، فليس بمقدور والله على كلِّ شيء قدير، ولو لم يكن معنى الروایتين الأولتين ما أولناهما به، لكان بين الأخبار تناقض، وجلَّت أحاديثهم ﷺ عن أن يناقض بعضها بعضاً، لعصمة الجميع عن الخطأ.

ومثل الحديث المروي عن أمير المؤمنين ﷺ، ما رواه في كتاب التوحيد أيضاً بسنده عن أبي عبد الله ﷺ إنَّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال له: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغر الأرض ولا يكبر البيضة؟

في بيان قدرة الله عز وجل ٤٧.

فقال له: وبلك إن الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممن يلفظ الأرض ويعظم البيضة^(١).

فدلّت هذه الرواية: على أن إدخال العظيم أو تعظيم الصغير بنحو التكاثف والتخلخل وما يجري مجراها وأن تلطيف الأرض إلى حدّ تدخل في البيضة، أو تعظيم البيضة إلى حدّ تدخل فيها الأرض غاية القدرة.

وقال بعض المعاصرين: إن هذه الأحاديث كلّها متّفقة، ولا تنافي ولا تناقض فيها، وأنّ الجواب في كلّ منها بحسب ما يقتضيه المقام وحال السائل، وكلامهم عليهم السلام أصله واحد وقد أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم.

وبيان ذلك: إنّ الحديثين الأوّلين يدلّان على ما دلّ عليه الحديثان الآخران على وجه لطيف ومعنى شريف. وتوضيحه: إنّ الظاهر من حال الديصاني في الحديث الأوّل: أنّه كان مناظراً مجادلاً كما يظهر من سياق كلامه مع مثل هشام بن الحكم، وجواب الإمام عليه السلام له على هذا النحو يدلّ على أنّه كان يعلم أنّ ما سأل عنه محال، والقدرة لا تتلقّى بالمحال، لنقصه عن الاستعداد لتعلّق القدرة به، فعدوله عليه السلام إلى ما يدلّ على كمال القدرة مع وجوده، وعدم لزوم المحال فيه، مع كونه نظيراً لما أراده السائل فيه، تمام الفصاحة والبلاغة، والإلزام لمن عرف عليه السلام من حاله أنّه يفهم ذلك، وحال هشام في فهمه كحال الديصاني، وإلّا لثقل هشام مع العلم بحاله لا يخفى عليه أنّ السائل أراد غير ما أجابه عليه السلام به ولم يراجع في ذلك لأجل دفع ما يورده السائل من أنّه أراد غير ما تضمّنه الجواب.

و حاصل الكلام: إِنَّهُ ﷺ نَبَهُ أَنْ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ الدُّنْيَا فِي الْبَيْضَةِ مِثْلَ دُخُولِ مَا تَرَاهُ بِنَظَرِكَ فِي النَّازِرِ وَ هُوَ بِهَذَا الْقَدْرِ وَ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ وَ لَا تُصَغِّرُ الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّ مَا يَرَاهُ النَّازِرُ يَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ بِحَيْثُ لَا يَكْبُرُ النَّازِرُ وَ لَا يَصْغُرُ مَا يَنْظُرُهُ.

و على هذا النحو ما في الحديث الآخر من قول الرضا ﷺ «نعم و في أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك و هي أصغر من البيضة»^(١).

ففيه تنبيه للسائل على كمال قدرته تعالى ممّا هو ممكن، و غير محال، و أنّ ما سأل عنه لا ينبغي أن يسأل عنه لما ذكر من كونه محالاً، فظهر كون الأحاديث كلّها متّفقة لا تنافي فيها، و إلا فكيف يتصوّر أن يخفى على الإمام ﷺ ما أَرَادَهُ السَّائِلُ حَتَّى يَجِيبَهُ بِغَيْرِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ سَوَالُهُ؟ و مع ذلك لا يفرّق هشام و السائل بين السؤال و الجواب، و ينقل مثل هذا أجلاء العلماء من غير تعرّض لدفع ما ذكر؟ و ما ذلك إلا لفهمهم وجه ذلك، و الله أعلم.

قوله ﷺ: «و إن عظم» (إن) هذه هي التي يسميها أكثر المتأخرين و صليّة و متّصلة، و ذلك حيث وقع الشرط بها مدلولاً على جوابه بما قبله من الكلام، و كان ضدّ الشرط أولى بمجزائه من الشرط كقولك: أكرمه و إن شتمني، فالشتم بعيد من الإكرام، و ضدّه و هو المدح أولى بالإكرام، و مثله قوله: «و إن عظم» فإنّ كون الشيء عظيماً بعيد في الظاهر عن القدرة عليه، و ضدّه و هو كونه لطيفاً أولى بالقدرة عليه، و مثل إن في ذلك (لو) المستعملة في معناها نحو: «اطلبوا العلم و لو بالصين»^(٢).

في بيان قدرة الله عز وجل ٤٩.

و «الواو» قيل: للعطف على محذوف، وهو ضد الشرط المذكور، أي لا تعجز عن شيء إن لم يعظم وإن عظم.

وقيل: للحال، والعامل فيها، ما تقدّم من الكلام والمعنى: لا تعجز عن شيء والحال أنه عظيم.

وقيل: - الجملة - إعتراضية، والواو للإعتراض وهي قد تأتي بعد تمام الكلام.

وفيه أنه لا يفيد إدخال الواو حينئذ كون الجزء أولى من الشرط، فإنّ واو الإعتراض هي الإستثنائية كما جزم به بعضهم.

«وعظم الشيء» - بالضم - خلاف صغر، عظماً - كعنب - وعظامة فهو عظيم.

قوله لَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ: «ولا يفوتها شيء وإن لطف» فانه الشيء فوتاً وفواتاً؛ ذهب عنه، ولطف - كعظم -، لطفاً - بالضم -، ولطافة: صغر حجمه ودقّ فهو لطيف، أي لا يذهب عن قدرته شيء لصغره ودقته كما لا يعجزها شيء لعظمه وكبره، بل هو على كلّ شيء قدير عظيماً كان أو لطيفاً، لعموم قدرته جلّ شأنه وعزّ سلطانه.

إكمال

قال بعضهم: الأولى في إثبات عموم قدرته تعالى ونحوه من المطالب التي لا يتوقف إرسال الرسول عليها بالأدلة السمعية فيستدلّ على شمول القدرة بقوله تعالى: «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

واعتراض المحقّق الدواني بأنّ كون شمول القدرة ممّا لا يتوقف عليه إرسال الرسول، مسلّم إذا لو فرض قدرته على الإرسال فقط لكن في

٥٠..... الرسول الأعظم على لسان حفيده.

صدور الإرسال عنه، لكن إثبات إرسال الرسول مما يتوقف على شمول القدرة، إذ طريق إثباته: إن المعجزة فعل الله تعالى خارق للعادة وقد صدر عنه حال دعوى النبوة، وإذا خالف الفاعل المختار عادته حين استدعاء النبي تصديقه بأمر يخالف عادته دل ذلك على تصديقه قطعاً، وهذا يتوقف على كونه فعلاً له، وكونه فعلاً له مثبت بشمول القدرة إذ لا دليل لنا على أن خصوص المعجزة فعل الله تعالى ومقدوره وإن زعمه المعتزلة، واحتمال وجوده لا يجدي نفعا فلا يتم هذا القول.

وأورد أنه لا يكفي في ثبوت المعجزة كون الأمر الخارق للعادة فعل الله تعالى بل يتوقف على العلم بأن الله تعالى لا يصدق الكاذب، وهم لا يقولون بالحسن والقبح العقليين، فيتوقف على إخبار الرسول بذلك فيدور أيضاً.

ومن الأدلة العقلية على عموم القدرة إن علة المقدورية عامة في جميع الممكنات فالقدرة عامة في جميعها، أما أن علة المقدورية عامة في جميعها فلأن علتها الإمكان، وهو وصف مشترك في جميع الممكنات، فيكون جميعها مقدوراً له تعالى.

قال جدنا العلامة نظام الدين أحمد رحمته: لو تم هذا الدليل لدل على أن قدرة العباد أيضاً عامة، فإن الإمكان علة للمقدورية على الممكن للعبد أيضاً، وإذا كانت علة المقدورية عامة في جميع الممكنات كانت قدرته أيضاً عامة ولا قائل به أصلاً.

والمشهور في الاستدلال على ذلك: إن مقتضي القدرة هو الذات، والمصحح للمقدورية هو الإمكان، فإن الوجوب والإمتناع يحيلان المقدورية ونسبة الذات إلى جميع الممكنات على السواء، فإذا ثبتت

قدرته على بعضها ثبتت على كلها. لكن هذا إنما يتم إذا لم تكن الممكنات حال العدم ممتازة بعضها عن بعض ولا يكون لها مادة كما هو مذهب الأشاعرة، بل المحققين من المتكلمين. أما على القول بأن لها امتيازاً حال العدم بأن يكون لها ثبوت دون الوجود فتكون ممتازة بعضها عن بعض حال العدم كما هو مذهب المعتزلة القائلين بالوجود الذهني، وأن الموجودات الذهنية لها ثبوت دون الوجود، فيجوز أن يكون خصوصية بعض الممكنات في حال العدم مانعة عن تعلّق قدرته تعالى به، فلا تكون نسبة الذات إلى الجميع على السواء، وكذا على القول بأن لها مادة كما هو مذهب الحكماء إذ يجوز أن تكون تلك المادة معدّة لبعض الممكنات دون بعض، لما أعدته المادة كان مقدوراً له تعالى دون غيره، فلا تتساوى نسبة الذات إليها أيضاً على هذا القول.

أما إذا لم تكن الممكنات حالة العدم ممتازة بعضها عن بعض ولم تكن لها مادة كانت نسبة الذات إلى جميعها على السواء فيثبت عموم القدرة عليها.

قال جدنا العلامة المذكور رحمته؛ ويرد عليه أنه على تقدير عدم ثبوت الممكنات حال العدم، وعدم المادة أيضاً، يجوز أن يقال: لما كانت تلك الممكنات معلومة للواجب تعالى في الأزل، كانت ممتازة بعضها عن بعض بحسب علمه، فيمكن أن يقال: لم لا يكون خصوصية بعضها في علمه تعالى مانعة عن تعلّق قدرته به، فلا تكون نسبة الذات إلى جميعها على السواء لا بدّ لنفي ذلك من دليل. انتهى ^(١) فتأمل.

والحق: إن المعوّل في ذلك على الدليل السمعي وإجماع الأنبياء عليهم السلام

الذين علموا ذلك بالوحي و العلم الشهودي، كما قال تعالى مخاطباً لخاتم أنبيائه عليه و عليهم السلام: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).
 و لزوم الدور، إنما يرد على كون معرفة صدق النبي بالمعجزة موقوفاً على العلم بعموم القدرة، لكن العلم الضروري العادي يحصل بمجرد ظهور المعجزة على صدقه كما جزم به جدنا الأعظم غياث الحكماء في رسالته: «دليل الهدى»، و وافقه عليه بعض المحققين، فيحصل العلم بالقدرة و العلم و عمومهما من أخبارهم عليهم السلام فأعرف ذلك و ابن عليه أمثال هذه المطالب فإنه السبيل الذي لا يضل بسلوكه الطالب، و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل.



فَخَتَمَ بِنَا عَلَىٰ جَمِيعٍ مِّنْ ذَرَأٍ
وَجَعَلْنَا شُهَدَاءَ عَلَىٰ مَن جَعَدَ،
وَكُنَّا بِمَنَّهُ عَلَىٰ مَن قَلَّ.

«ختم الكتاب» من باب - ضرب -، وختم عليه ختماً؛ وضع عليه
الختام وهو الطابع^(١).

و «الباء» للسببية. قال ابن مالك في شرح التسهيل: وهي الداخلة
على صالح الاستغناء به عن فاعل معذاها مجازاً نحو: «فَأَخْرَجَ بِهِ مِّنْ
الْأَثَرِ»^(٢) فلو قصد اسناد الإخراج إلى الهاء لحسن، ولكنه مجاز، قال:
و منه: كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين، فإنه يقال: كتب القلم وقطعت
السكين. والنحويون يعبرون عن هذه الباء بالاستعانة، و آثرت على
ذلك التعبير بالسببية، من أجل الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى، فإن
إستعمال السببية فيها يجوز وإستعمال الاستعانة لا يجوز^(٣).

و «ذراً الله الخلق» ذراً بالهمز من باب - نفع -: خلقهم.

قال ابن الأثير: وكان الذرة مختص بخلق الذرية^(٤) إنتهى.

«و الذرية» - مثلثة - نسل الثقلين. والمعنى إنه تعالى جعلنا آخر
جميع من خلق، من الأنبياء وأممهم كما قال تعالى: «وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا
فِيهَا نَذِيرٌ»^(٥) فختمهم بنا، فلا أمة بعدنا يرسل إليها رسول كما أن

١- الطابع: يفتح الباء وكسرها: ما يطبع به، المصباح المنير: ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

٢- البقرة: ٢٢.

٣- لا يوجد هذا الكتاب لدينا.

٤- النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ١٥٦.

٥- خاطر: ٢٤.

نَبِيَّنَا ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا أحد ينبيء بعده، ولا يقدر فيه نزول عيسى عليه السلام بعده، لأنه ممن نبيء قبله وحين ينزل إنما ينزل عاملاً على شريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أُمَّته.

قوله ﷺ: «و جعلنا شهداء على من جحد» الشهداء: جمع شهيد، فعيل بمعنى فاعل من شهد على الشيء: اطلع عليه وعاينه، فهو شهيد وشاهد.

و جحد حقه يحجده حجداً و جحداً، من باب منع: أنكره، ولا يكون إلا على علم من الجاحد به، وفي هذه الفقرة إشارة إلى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»^(١).

و «الوسط» في الأصل اسم لما تستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة، ثم استعير للخصال المحمودة البشرية، لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوسط محوطة كما قيل، فإن تلك العلامة بمركز من الإعتبار في هذا المقام، إذ لا ملاسة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور، بل كون تلك الخصال، أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط، كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالحكمة التي طرفاها: الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها: التهور والجبن. وكالحكمة التي طرفاها: الجريرة والبلادة، ثم أطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها، وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الأصل كساير الأسماء التي يوصف بها، أي جعلناكم متصفين بالخصال الحميدة، خياراً، عدولاً، مزكّين

بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بأن الله تعالى قد أوضع السبل فأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا إذ كنتم واقفين على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنظوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاوياً لشرايط الشهادة عليهم.

روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء ﷺ فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبيّنة عليه على أنهم قد بلغوا، وهو أعلم للحجة على المجاحدين وزيادة لحزيم، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون. فيقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: عرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى عند ذلك بمحمد ﷺ ويُسئل عن أُمته فيزكّهم ويشهد بعد التهم، وذلك قوله تعالى: «وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»^(١) ومن الحكمة في ذلك، تمييز أمة محمد ﷺ في الفضل عن سائر الأمم حيث يبادرون إلى تصديق الله و تصديق الأنبياء والإيمان بهم جميعاً، فهم بالنسبة إلى غيرهم كالعدل بالنسبة إلى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الأمم ولا تقبل شهادة الأمم عليهم^(٢).

وإنما لم يقل: ويكون الرسول لكم شهيداً، مع أن شهادته لهم لا عليهم؟ لما في الشهيد من معنى الرقيب، مثل: «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^(٣) مع رعاية المطابقة للأول وتقديم الظرف، للدلالة على اختصاص شهادته ﷺ بهم.

١-البقرة: ١٤٣.

٢-أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٧ مع اختلاف يسير في بعض العبارة و تفسير

النيسابوري في هامش، تفسير الطبري ج ٢، ص ١٢.

٣-البروج: ٩.

وقيل: إنَّ هذه الشهادة في الدنيا وذلك أنَّ الشاهد في عرف الشرع: من يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكلَّ من عرف حال شخص فله أن يشهد عليه، فإنَّ الشهادة: خبر قاطع، و شهادة الأئمة لا يجوز أن تكون موقوفة على الآخرة لأنَّ عدالتهم في الدنيا نابتة بدليل «جَعَلْنٰكُمْ» بلفظ الماضي فلا أقلَّ من حصولها في الحال، ثمَّ رتب كونهم شهداء على عدالتهم، فيجب أن يكونوا شهداء في الدنيا.

فإن قيل: لعلَّ التحمُّل في الدنيا ولكن الأداء في الآخرة.

قلنا: المراد في الآية الأداء لأنَّ العدالة إنَّما تعتبر في الأداء لا في التحمُّل، ومن هنا يعلم أنَّ إجماعهم حجة لا بمعنى أنَّ كلَّ واحد منهم محقٌّ في نفسه بل هيئتهم الاجتماعية تقتضي كونهم محقِّين، وهذا من خواصَّ هذه الأئمة.

ثمَّ لا يبعد أن يحصل لهم مع ذلك الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم مجرى التحمُّل لأنَّهم إذا بيَّنوا الحقَّ عرفوا عنده من القابل ومن الرادِّ ثمَّ يشهدون بذلك يوم القيامة كما أنَّ الشاهد على العقود يعرف ما الذي تمَّ، ثمَّ يشهد بذلك عند المحاكم أو يكون المعنى: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصحُّ إلا بشهادة العدول الأخيار.

قال النيسابوري: قيل: الآية متروكة الظاهر، لأنَّ وصف الأئمة بالعدالة يقتضي إتصاف كلِّ واحد منهم بها، وليس كذلك، فلا بدَّ من حملها على البعض، فنحن نحملها على الأئمة المعصومين، سلَّمناه لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية، لأنَّ خطاب من لا يوجد محال، فالآية تدلُّ على أنَّ إجماع أولئك حقٌّ لكنَّنا لا نعلم بقاء جميعهم بأعيانهم إلى ما بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحَّة الإجماع وقتئذٍ.

في إعتبار العدالة في الشهود ٥٧.

وأوجيب: بأنَّ حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس إلى غيره، فلم لا يجوز أن لا يكون الشخص مقبول القول عند الإنفراد، ويكون مقبول القول عند الإجماع، والخطاب لجميع الأمة من حين نزول الآية إلى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^(١) «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ»^(٢) فللموجودين بالذات و للباقيين بالتبعية، لكننا لو اعتبرنا أول الأمة و آخرها بأسرها لزالَت فائدة الآية إذ لم يبق بعد إقتضائها من تكون الآية حجة عليه فعلمنا، إنَّ المراد بها أهل كلِّ عصر، ثمَّ إنَّ الله تعالى منَّ على هذه الأمة أن جعلهم خياراً وعدولاً عند الإجماع، فلو أمكن إجماعهم على الخطأ لم يكن بينهم وبين سائر الأمم فرق في ذلك فلا منَّة،^(٣) إنتهى.

قلت: أمَّا عدم إجماعهم على الخطأ فسلم، لكن لا من حيث عصمتهم حال إجماعهم عن الخطأ كما يزعمه المخالفون القائلون بجواز الخلو عن المعصوم، بل من حيث دخول المعصوم فيهم، لأنَّ تحقق الإجماع كاشف عن دخوله، والمسألة مستوفاة في كتب الأصول.

هذا والحق: أنَّ المراد بالشهادة، الشهادة في الآخرة وبالشهداء الأئمة المعصومين عليهم السلام، لما روي عن الصادق عليه السلام: إِنَّهُ قَالَ: ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عَنَى بِهِذِهِ الْآيَةَ جَمِيعَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، أَفْتَرَى أَنَّ مَنْ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى صَاحٍ مِنْ تَمَرٍ يَطْلُبُ اللَّهُ شَهَادَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُ بِحُضْرَةِ جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؟ كَلَّا لَمْ يَعْزِ اللَّهُ مِثْلَ هَذَا مِنْ خَلْقِهِ، يَعْنِي الْأُمَّةَ

١-البقرة: ١٨٣.

٢-البقرة: ١٧٨.

٣-تفسير النيسابوري في هامش تفسير الطبري: ج ٢، ص ١٤ - ١٥.

التي وجبت لها دعوة إبراهيم «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»^(١) وهم الأئمة الوسطى وهم خير أمة أخرجت للناس^(٢).

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل: بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي، عن علي^{عليه السلام}: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِيَّانَا عَنِ بَقُولِهِ: «لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»^(٣) فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء على خلقه وحبّته في أرضه، ونحن الذين قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»^{(٤)(٥)}.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر^{عليه السلام} قوله: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»^(٦) قال: نحن الأئمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحبّته في أرضه^(٧).

وبسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام، وبما ضيعوا منه^(٨).

١- آل عمران: ١١٠.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١٤، مع اختلاف يسير في العبارة.

٣- البقرة: ١٤٣.

٤- البقرة: ١٤٣.

٥- شواهد التنزيل لحسكاني: ج ١، ص ٩٢، ح ١٢٩.

٦- البقرة: ١٤٣.

٧- الكافي: ج ١، ص ١٩١، ح ٤، وفيه: عن بريد العجلي. وبصائر الدرجات:

ص ٨٢ ح ٣.

٨- بصائر الدرجات: ص ٨٢ ح ١، و تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٣٣.

و على هذا فالضمير في جعلنا، من قوله «و جعلنا شهداء على من جحد» للأمة بإعتبار بعضهم الذين هم الأئمة عليهم السلام.

قال بعض العلماء: فإن قلت: ما حقيقة هذه الشهادة و ما فائدها مع أن الله تعالى عالم الغيب و الشهادة؟

قلت: أمّا حقيقتها: فيعود إلى إطلاعهم صلوات الله عليهم على أفعال الأمة. و بيان ذلك: إنّ للنفوس القدسيّة الإطلاع على الأمور الغيبية و الإنتقاش بها مع كونها في جلايب من أبدانها، فكيف به قبل ملاستها لها و بعد مفارقتها لهذا العالم و الجسم المظلم، فإنّها إذن تكون مطلّعة على أفعال جميع الأمم و مشاهدة لها من خير و شر.

و أمّا فائدها: فقد علمت أن أكثر أحكام الناس و هيبة، و الوهم منكر للإله على الوجه الذي هو الإله، فبالحرى أن ينكر كونه عالماً بجزئيات أفعال عباد و دقائق خطرات أوهامهم، و ظاهر أن ذلك الإنكار يستتبع عدم المبالاة بفعل القبيح و الإتهام في الأمور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها، فإذا ذكر لهم أن عليهم شهداء و رقباء و كتاباً لما يفعلون مع صدق كلّ ذلك بأحسن تأويل، كان ذلك ممّا يعين العقل على كسر النفس الأتّارة بالسوء، و قهر الأوهام الكاذبة، و يردع النفس عن متابعة الهوى، و إذا كان معنى الشهادة يعود إلى إطلاع الشاهد على ما في ذمّة المشهود عليه و علمه بحقيقته و فائدها حفظ ما في ذمّة المشهود عليه، و تحوّفه إن جحد، أو لم يوصله إلى مستحقّه أن يشهد عليه الشاهد فيفضحه و ينزع منه على أقبح وجه، و كان المعنى و الفائدة قائمين في شهادة الأئمة عليهم السلام إذ بها تحفظ أوامر الله و تكاليفه التي هي حقوقه الواجبة، و يحصل الخوف للمقصرين فيها بذكر شهادتهم عليهم بالتقصير

٦٠.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

يفتضحوا في محفل القيامة ويستوفي منهم جزاء ما كلفوا به فقضروا فيه بالعقاب الأليم لاجرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه.

قوله ﷺ: «وَكثَرْنَا بِمَنَّةٍ عَلَى مَنْ قُلَّ» كثرت الشيء تكثريراً وأكثرته إكثاراً: جعلته كثيراً، أي جَعَلْنَا كَثِيرِينَ وافرِينَ العدد، دون سائر الأمم الذين هم قليلون بالنسبة إلينا، وعدَى كَثَرٌ بـ(على) لتضمنينه معنى التفضيل، كأنه قال: كَثَرْنَا بِمَنَّةٍ مَفْضَلًا لَنَا عَلَى مَنْ قُلَّ.

وتكثرينا، إما باعتبار كون شرعه ﷺ مؤبداً إلى يوم القيامة، فتكون أمته مستمرة لا انقطاع لها إلى إنتضاء الدنيا، بخلاف سائر الأمم، أو باعتبار شمول رسالته إلى العرب والعجم والإنس والجن، أو باعتبار البركة في النسل كما قال ﷺ: «تَنَاقَحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي مَكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، أو باعتبار بقاء معجزه الذي هو القرآن إلى آخر الدهر. وبالجملة، فقد عدَّ العلماء من خصائصه ﷺ، كونه أكثر الأنبياء تابعاً. وروي عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيّاً أَوْ حَاضاً إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). وهذا الخبر يؤيد الإعتبار الأخير. وفسر قوله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»^(٣) بالكثير من أولاده وأتباعه ﷺ.

ويحتمل: أن يراد بالكثرة: الثروة، وبالقلّة: الفقر، يقال: رجل مُكثِر،

١-وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٩٦، ح ١٤، مع اختلاف يسير في العبارة، وهكذا جاء

في دعائم الإسلام: ج ٢، ص ١٩١، ح ٦٨٩.

٢-مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٣٤١ و ٤٥١، مع اختلاف يسير في العبارة.

٣-الكوثر: ١.

في فضيلة تكثير أمة محمد ﷺ ٦١.

إذا كان ذا مال، كما يقال: رجل مُقلّ، إذا كان فقيراً: أي جعلنا مكثرين
موسرين، فائقين على من كان فقيراً مُقلّاً.

و يحتمل أن يراد بهما: العزّة والذلة، إذا كان من الشائع أن يكفى
بالكثرة عن العزّة وبالقلّة عن الذلة، أي أعزّنا على من ذلّ.

قال الزجاج في قوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْكُمْ»^(١):
يحتمل كثرة العدد بعد القلّة، وكثرة العدد بعد النزارة، وكثرة القدرة و
الشدة بعد الضعف والذلة^(٢).

وقال الزمخشري: «أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً
عددكم فكثركم لله وفرّ عددكم، ويجوز إذ كنتم فقراء مقلّين فكثركم
فجعلكم مكثرين موسرين، أو كنتم أقلّة أذلّة فأعزّكم بكثرة العدد و
العدد»^(٣).



١-الأعراف: ٨٦

٢-التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٤، ص ١٧٥.

٣-الكشاف: ج ٢، ص ١٢٨.

اَللّٰهُمَّ فَصِّلْ عَلٰى مُحَمَّدٍ اَمِيْنِكَ
عَلٰى وَحْيِكَ وَ تَحْسِيْبِكَ مِنْ
خَلْقِكَ، وَ صَفِيَّتِكَ مِنْ عِبَادِكَ.

أصل «اَللّٰهُمَّ» يا الله، حذف حرف النداء و عوض عنه الميم، و لذلك لا يجمع بينهما إلا ضرورة كقول الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثْتُ الْمَا أَقُولُ يَا اَللّٰهُمَّ يَا اَللّٰهُمَّ^(١)

و إنما أخرت الميم تبركاً باسمه تعالى، و خصت بذلك دون غيرها لأن الميم عهد زيادتها آخرأ، كميم زرقم للشديد الزرقعة، هذا مذهب البصريين.

و ذهب الكوفيون إلى أن الميم ليست عوضاً، بل بقية من جملة محذوفة و هي أُمَّتًا بخير.

قال الرضي: و ليس بوجه لأنك تقول: اَللّٰهُمَّ لَا تَوْتَهُمْ بخير^(٢).
و قال أبو علي: و لأنه لو كان كما ذكر لما حسن، اَللّٰهُمَّ أُمَّتًا بخير، و في حسنه دليل على أن الميم ليست مأخوذة منه، إذ لو كان كذلك لكان تكريراً^(٣).

و قال بعضهم: أصل اَللّٰهُمَّ: يا الله المطلوب للمهم، فحذف حرف النداء لدلالة الطلب و الإهتمام عليه مع قيامه مقامه، ثم اقتصر من لفظي الصّفتين بأول الأول و آخر الثاني و أدغم أحدهما في الآخر.
قوله ﷻ: «أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ» الأمين: فعيل من الأمانة، فهو إِمَامًا

١- شرح الكفاية في النحو للرضي: ج ١، ص ١٤٦.

٢- شرح الكفاية في النحو للرضي: ج ١، ص ١٤٦.

٣- لم نعثر عليه.

بمعنى مفعول: أي مأمون من أمنه - كعلمه - إذا إستأمنه، أو بمعنى فاعل من أمن هو ككرم فهو أمين.

و «الوحي» في اللغة: الإشارة و الرسالة و الكتاب و الإلهام و كل ما ألقىته إلى غيرك ليعلمه فهو وحي كيف كان. و هو مصدر وحي إلى يحيى من باب وعد، و أوحى إليه بالآلف مثله، و هي لغة: القرآن الفاشية، ثم غلب إستعمال الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله، و المراد بكونه أميناً على وحيه تعالى: قوته على ما كلف به من ضبط الوحي في ألواح قواه الشريفة بحكم الحكمة الإلهية بها عليه، و كمال إستعداد نفسه الطاهرة لأسرار الله و علومه، و حكمه، و حفظه لها، عن ضياعها، و صيانتها عن تدنسها بأذهان غير أهلها، و عدم تطرق تبديل أو زيادة أو نقصان إليها، إذ كان من شأن الأمين قوته على ضبط ما يستأمن عليه، و إستعداد له و حفظه و صيانته عن التلف و الأدناس و التهديل و الزيادة و النقصان، و لهذا السر كانت العرب تسميه بالأمين قبل مبعثه لما شاهدوه من أمانته، و شهر بهذا الاسم قبل نبوته و بعدها.

قوله ﷺ: «و لحبيبك من خلقك» النجيب: الكريم النفيس في نوعه، فمفعول بمعنى فاعل، من نَجَّبَ كَكَرَّمْ لحجابه، و يحتمل أن يكون بمعنى مفعول: أي اللباب الخالص الذي انتجبت من خلقك، من قولهم: نجبت العود من باب - ضَرَبَ - و - قتل - و انتجبت: إذا قشرت نجبه بالتحريك و هو: لحاؤه و قشره و تركت لبابه و خالصه.

و في حديث ابن مسعود: الأنعام: من لحائب القرآن أو نواجب القرآن^(١).

٦٤.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

قال في القاموس: نجائب القرآن: أفضله ومحسنه، ونواجهه لُبابه الذي عليه نجب^(١).

و في نسخة ابن إدريس: نجيتك من خلقك بالياء المشناة من تحت مشددة بعد الجيم، وهو فعيل من النجوى بمعنى السرّ، يقال: ناجيته أي ساررته، وهو نجيتي فلان: مناجيه دون أصحابه.

وقال ابن الأثير في النهاية في حديث الدعاء: «اللَّهُمَّ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَمُوسَى نَجِيِّكَ» هو المناجى المخاطب للإنسان والمحدث له، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج، والتجى فعيل منه، وقد تناجيا مناجاة وإنتجاء ومنه: الحديث: «لا يتناجى اثنان دون الثالث» وفي رواية: «لا ينتجى اثنان دون صاحبها» أي لا يتسارران منفردين لأن ذلك ليسوؤه ومنه: حديث عليّ عليه السلام: «دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف فاتتجاء فقال الناس: لقد أطل نجواه، فقال: ما انتجيته ولكن الله انتجاء، أي إن الله أمرني أن أناجيه»^(٢) إلى هنا كلام ابن الأثير.

قوله عليه السلام: «وصفك من عبادك» الصنيّ إمّا بمعنى المصطفى أي المختار، ومنه الصني والصفيّة لما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة، أو بمعنى الحبيب المصافي من صافاه الودّ والإخاء: صدقه كأصفاء، يُقال: هو صني من بين إخواني.

قال ابن الأثير: «هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول»^(٣).

و انتجاء الله تعالى وإصطفاه له صلى الله عليه وسلم وكذلك مصافاته له يعود إلى

١-القاموس المحيط: ج ١، ص ١٣٠، وفيه: (ليس عليه نجب).

٢-النهاية لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٥، مع اختلاف يسير في العبارة.

٣-النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٤٠.

إفاضة الكمال النبويّ عليه بحسب ما وهبت له العناية الإلهيّة من القبول والإستعداد.

و يحتمل أن يكون المراد باصطفائه تعالى له ﷺ جعله صفوة خلقه و عباده أي خيرتهم كما قال ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، و اصطفى من ولد إسماعيل كنانة، و اصطفى من كنانة قريشاً، و اصطفى من قريش بني هاشم، و اصطفاني من بني هاشم»^(١).



إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ
الْخَيْرِ وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ

«إمام الرحمة» بدل من محمد، أو عطف بيان عليه و «الإمام» ما يقتدى به من رئيس أو غيره فيطلق على الخليفة، والعالم المقتدى به، و من يؤتم به في الصلاة، و يستوي فيه المذكر والمؤنث.

قال بعضهم: وربما أنت إمام الصلاة فقليل: إمراة إمامة، و قيل: الهاء فيها خطأ و الصواب حذفها لأن الإمام اسم لا صفة.
و قال بعضهم: لا يمتنع أن يقال: إمراة إمامة لأن في الإمام معنى الصفة.

و «الرحمة» قيل: هي ميل القلب إلى الشفقة على الخلق والتلطف بهم.
و قيل: هي إرادة إيصال الخير إليهم: وإضافة الإمام إليها، إما بمعنى اللام الإختصاصية، أي إمام للرحمة، و المعنى: الإمام المختص بالرحمة، أو بمعنى (من) البيانية أي إمام من جنس الرحمة، و المعنى: الإمام الذي هو الرحمة كأنه نفس الرحمة مبالغة، و فيه إشارة إلى قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(١).

قال أهل العربية: يجوز أن تكون رحمة، مفعولاً له أي لأجل الرحمة، و أن تكون حالاً مبالغة في أن جعله نفس الرحمة، وإما على حذف مضاف أي ذا رحمة، أو بمعنى راحم.

وفي الحديث: «أنا نبي الرحمة»^(٢) وفي آخر: «إنما أنا رحمة مهداة»^(٣).

١-الأنبياء: ١٠٧.

٢-مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٣٩٥.

٣-مجمع البيان: ج ٧-٨، ص ٦٧.

و تفصيل هذه الرحمة من وجوه:

أحدها: أنه الهادي إلى سبيل الرشاد، و القائد إلى رضوان الله سبحانه، و بسبب هدايته يكون وصول الخلق إلى المقاصد العالية، و دخول جنّات النعيم التي هي غاية الرحمة.

الثاني: أن التكاليف الواردة على يديه أسهل التكاليف و أخفّها على الخلق بالنسبة إلى سائر التكاليف الواردة على أيدي الأنبياء السابقين لأمّهم. قال ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة»^(١) و ذلك عناية من الله تعالى و رحمة اختص بها أمّته على يديه.

الثالث: أنه ثبت أن الله يعفو عن عصاة أمّته و يرحمهم بسبب شفاعته. الرابع: أنه سأل الله أن يرفع عن أمّته بعده عذاب الإستيصال، فأجاب الله دعوته و رفع العذاب رحمة.

الخامس: أن الله وضع في شرعه الرّخص تخفيفاً و رحمة لأمّته. السادس: أنه ﷺ رحم كثيراً من أعدائه كاليهود و النصارى و المجوس، برفع السيف عنهم، و بذل الأمان لهم، و قبول الجزية منهم. و قال ﷺ: «من أذى ذمياً فقد آذاني»^(٢) و لم يقبل أحد من الأنبياء الجزية قبله.

السابع: إن الله تعالى أخر عذاب من كذّبه إلى الموت، أو القيامة كما قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^(٣) و كلّ نبي من

١- النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٤٥١.

٢- لم نعثّر عليه. بل وجدنا لربيّاً منه و إليك نصه: «من أذى ذمياً فلأنا خصمه، و من

كنت خصمه خصمته يوم القيامة» الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٥٨.

٦٨.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

الأنبياء قبله كان إذا كذب أهلك الله من كذبه إلى غير ذلك من الوجوه التي لا تكاد تحصى كثرة.

فان قلت: كيف كان رحمة و قد جاء بالسيف و إستباحة الأموال؟ حتى قال في حديث آخر: «أنا نبي الملحمة»^(١) أي القتال.

قلت: إنما جاء بالسيف لمن جحد و عاند و أراد خفض كلمة الله و لم يتفكر و لم يتدبر، ألا ترى إنه كان ﷺ لا يبدأ أحداً بقتال حتى يدعوه إلى الله و ينذره، و من أساء الله تعالى الرحمن الرحيم، ثم هو المنتقم من العصاة فلا شك إنه ﷺ كان رحمة لجميع الخلق، للمؤمنين بالهداية و غيرها، و للمنافقين بالأمان، و للكافرين بتأخير العذاب، فذاته ﷺ رحمة تعم المؤمن و الكافر.

و روي إنه ﷺ قال لجبرئيل لما نزل عليه بقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٢): هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم كنت أخشى سوء العاقبة فأمنت إن شاء الله بقوله تعالى: «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»^(٣) (٤).

قوله ﷺ: «و قائد الخير» قاد الدابة قوداً، من باب - قال -، و قياداً: إذا تقدمها آخذاً بقيادها و هو خلاف السوق، و منه: قائد الجيش لأمرهم كأنه يقودهم، و جمعه: قادة و قواد. و قد يقال للدليل أيضاً: قائد بهذا الاعتبار.

١-مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٣٩٥ و ٤٠٤.

٢-الأنبياء: ١٠٧.

٣-التكوير: ٢٠ - ٢١.

٤-مجمع البيان: ج ٧-٨، ص ٦٧، مع اختلاف يسير في العبارة.

و «الخير» قيل: هو شيء من أعمال القلب نوراني زائد على الإيمان و غيره من الصفات المرضية، يدلّ على ذلك ما في حديث أنس: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله و كان في قلبه من الخير ما يزن مثقال ذرّة»^(١). و قيل: هو الوجود و يطلق على غيره بالعرض، و هو إما خير مطلق كوجود العقل لأنّه خير محض لا يشوبه شرّ و نقص، و إما خير مقيد، كوجود كلّ من الصفات المرضية.

و قيل: هو ما يطلبه و يؤثّر و يختاره كلّ عاقل، و هو ينقسم: إلى خير بالذات، و خير بالعرض. فالأول: هو الحقيقي و مرجعه إلى الوجود البحت، و الموجود بما هو موجود كالعلم، و الإيمان الحقيقيتين.

و الثاني: ما هو وسيلة إلى الأول، كالعبادة، و الزهد.

و قيل: هو ما يتشوّقه كلّ أحد بلا مثنوية، و هو المختار من أجل نفسه، و المختار غيره لأجله فإنّ الكلّ يطلبه بالحقيقة الخير و إن كان قد يعتقد في الشرّ أنّه خير فيختاره، فقصده الخير و يضادّه الشرّ، و هو المجتوى من أجل نفسه، و المجتوى غيره من أجله.

و الحق: إنّ الخير، كلّّي، يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «افعلوا الخير و لا تحقروا منه شيئاً، فإنّ صغيره كبير، و قليله كثير»^(٢) و يؤيّدّه: ما في بعض الأخبار: يخرج منها أي من جهنّم قوم لم يعملوا خيراً قط^(٣) و هؤلاء الذين ليس معهم إلا الإيمان إنتهى.

١- صحيح البخاري: ج ١، ص ١٦، مع اختلاف يسير في العبارة.

٢- نهج البلاغة: ص ٥٥٠ - ٥٥١، قصار الحكم: ٤٢٢.

٣- الترغيب و التهيب: ج ٤، ص ٤١٢، ح ٥٩.

٧٠.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

و يقابله، الشرّ فيكون كلياً يندرج تحته جميع الأعمال السيئة، و إضافة القائد إلى الخير من إضافة الفاعل إلى المفعول، و فيه إستعارة لطيفة، فإنَّ القائد لما كان من شأنه أن يقود الدابة حتّى يصل بها إلى الموضع المقصود، و كان ﷺ قد جاء بالخير و أوصله إلى الخلق، لا جرم حسنت إستعارة القائد له.

قوله ﷺ: «و مفتاح البركة» المفتاح: ما يفتح به المغلاق، و المفتاح مثله، و كأنّه مقصود من الأوّل، و جمع الأوّل: مفاتيح، و الثاني: مفاتيح بغير ياء.

و «البركة» - محرّكة - النماء و الزيادة و السعادة، و فيه إستعارة بديعية جداً و ذلك: إنّ الكفر و الضلال لما كانا مانعين من نماء الأعمال و سعادة الدارين، شبههما بالمغلاق الذي يمنع من الدخول إلى الدار. و لما كان ﷺ رافعاً للكفر، و ماحياً للضلال، و كان سبباً للإقدام على إستفادة الخيرات الزاكية، و السعادات النامية، شبهه بالمفتاح.



كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَ

عَرَضَ فِيكَ لِمَكْرُوهِ بَدَنَهُ.

«الكاف» للتعليل عند من أثبت لها أي صلّ عليه لأجل نصبه لأمر ك

نفسه كما في قوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ»^(١) أي هدايته إياكم، فإ

مصدرية، وزعم الزمخشري^(٢)، وابن عطية^(٣) وغيرهما: أنها كافة.

قال ابن هشام: وفيه إخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجرم من

غير مقتض، ومن نفى ورود الكاف للتعليل، أجاب بأنه من وضع

الخاص موضع العام إذ الذكر والهداية يشتركان في أمر وهو الإحسان،

فهذا في الأصل بمنزلة «وأحسن كما أحسن الله إليك».

و «الكاف» للتشبيه لا للتعليل، فوضع الخاص وهو الذكر، موضع

العام وهو الإحسان والأصل: وأحسنوا كما أحسن الله إليكم، ثم عدل

عن ذلك الأصل إلى خصوصية المطلوب وهو الذكر والهداية^(٤)

وكذا القول في عبارة الدعاء إذا قلنا بأن الكاف فيها للتشبيه

فيكون الأصل: فأحسن إليه كما أحسن، ثم عدل عن ذلك إلى قوله:

«فصلّ عليه» كما نصب للإعلام بخصوصية المطلوب، ولا خفاء بما

في ذلك من التكلف.

و الحق: ورودها للتعليل، فإن معنى التعليل ظاهر في حكاية

١-البقرة: ١٩٨.

٢-الكشاف: ج ١، ص ٢٤٧.

٣-مغني اللبيب: ص ٢٣٤.

٤-مغني اللبيب: ص ٢٣٤.

سيبويه^(١) «كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه». وفي قول الشاعر:
و طرفك إمّا جئتنا فاحبسّته كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر^(٢)
إذا معناه، إنك إذا جئتنا فلا تنظر إلينا و انظر إلى غيرنا ليحسب
الرقباء أن هواك مقصور على من تنظر إليه ليكون ذلك سبباً للستر و
عدم الفضيحة.

قال ابن مالك: و نصب الفعل بعدها تشبيهاً بـ (كى) في المعنى^(٣)
و «نصب» إمّا من النصب بسكون الصاد، مصدر نصبت الشيء
من باب - ضرب - إذا أقته، تقول: نصبت له الأمر كذا فانتصب أي
أقته له فقام.

و المعنى: أقام لأمرك نفسه، أو من النصب بحركة بمعنى التعب، يقال:
نصب ينصب، كتب يتعب، لفظاً و معنى، و نصبه غيره و أنصبه نصّ عليه
ابن الأنثير في النهاية^(٤).

و المعنى: ألعب لأمرك نفسه.
و «الأمر» إمّا بمعنى طلب الفعل لما أمرته به، أو بمعنى الدين و الشرع
كما في قوله تعالى: «وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ»^(٥)

قوله ﷺ: «و عَرَضَ فِيكَ للمكروه بدنه» عَرَضَته لكذا تعريضاً
فتعرّض: نصبت له فانتصب كأنك جعلته عرضة له: أي معروضا.

١-مغني اللبيب: ص ٢٣٤.

٢-مغني اللبيب: ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٣-مغني اللبيب: ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤-النهاية لابن الأنثير: ج ٥، ص ٦٢.

٥-التوبة: ٤٨.

في قرار جسده ﷺ للمكروهات ٧٣.

و «فبك» أي لأجلك، فني: للتعليل كقوله تعالى: «فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ»^(١) أي لأجله.

و «المكروه» ما يكرهه الإنسان ويشق عليه.

و «بدن الإنسان» قال الجوهرى: جسده^(٢).

و قال الأزهرى^(٣) و الفيروز آبادى: هو من الجسد ما سوى الرأس و الشوى^(٤).

و قال بعضهم: هو ما سوى المقاتل.

و الصحيح: إنه جملة الجسد: كما يدل عليه: كلامه ﷺ، و في هاتين الفقرتين إشارة إلى قيامه ﷺ بأمر الله تعالى كما أمره و بذله مهجته و جسده في سبيله، و مقاساته للمكاره و تحمله للمشاق في ذاته. فعن أبي عبد الله عليه السلام: إن الله تعالى كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلفه أحداً من خلقه، كلّفه أن يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاوم معه، و لم يكلف هذا أحداً من خلقه قبله و لا بعده، ثم تلا: هذه الآية: «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ»^(٥)^(٦).

و أما ما لا فاه ﷺ من المكروه و المشقة في ذات الله فمن قرأ كتب السير علم ذلك: كما ستهزاء قريش به في أول الدعوة، و رميهم إياه

١- يوسف: ٣٢.

٢- الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٧٧.

٣- تهذيب اللغة: ج ١٤، ص ١٤٣.

٤- القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٠٠.

٥- النساء: ٨٤.

٦- الكافي: ج ٨، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، و تفسير البرهان: ج ١، ص ٣٩٨.

بالحجارة حتى أدموا عقيبهم، و صياح الصبيان به، و فرث الكرش على رأسه، و قتل الثوب في عنقه، و حصره مع أهله في شعب بنى هاشم عذّة سنين محرّمة معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتى كادوا يموتون جوعاً لو لا أن بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب غيره كان يسرق القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلاً، ثم قصدهم له بالأذى، و لأصحابه بالضرب و التعذيب بالجوع و الوناق في الشمس، و طردهم إياهم من شعاب مكّة، حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشة و خرج هو ﷺ مستجيراً منهم تارة بثقيف، و تارة ببني عامر، و تارة بربيعة الفرس و بغيرهم، ثم أجمعوا على قتله و الفتك^(١) به ليلاً حتى هرب منهم، لا نذاً بالأوس و الخزرج، تاركاً أهله و ولده و ما حوته يده، ناجياً بحشاشة نفسه، حتى وصل إلى المدينة، فناصره الحرب و رموه بالكتائب، و صدقوه القتال و الكفاح حتى أدموا فيه و طاح مغشياً عليه، و لم يزل منهم في عناء شديد و حروب متصلة إلى أن أكرمه الله تعالى بنصره و أيّده بظهور دينه. و من له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال ما يطول شرحه.



وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ،
وَخَارَبَ فِي رِضَاكَ أَشْرَتَهُ، وَ
قَطَعَ فِي إِخْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ،

«كاشفه بالعداوة» باداه بها أي جاهره من الكشف بمعنى الإظهار و
(في)، للتعليل، كاللتين بعدها.

و «الدعاء إلى الله» طلب الخلق إلى توحيده والإقبال إلى طاعته.
و «حامة الرجل» خاصته و من يقرب منه، وهو الحميم أيضا
و منه الحديث: «انصرف كل رجل من وفد ثقيف إلى حامته»^(١)
قاله ابن الأنثير.

و قال الجوهري: هؤلاء حامة الرجل من أهله و ولده^(٢).
و في القاموس: هي خاصة الرجل من أهله و ولده^(٣).
و «الاسرة» بالضم - كغرفة - و من ضبطه - بالفتح - فقد وَهَمَ، و
هُم رهط الرجل الأدنون، و أصلها من الأسر و هو الشد، لأن الرجل
يشدّ برهطه و عشيرته و يقوى بهم.
و «قطع رحمه قطعاً و قطيعه» هجرها.

و «عقها» أي شقّ عصي ألفتها و ترك برّها، و الحنو عليها.
و «الرحم» - ككتف - و يخفف بسكون الحاء مع الراء و مع كسرهما
أيضا في لغة بني كلاب، و في لغة لهم: بكسر الحاء إتباعاً لكسرة الراء، و
هي موضع تكوين الولد، و وعاءه في بطن أمّه.

١-النهاية لابن الأنثير: ج ١، ص ٤٤٦.

٢-الصحاح: ج ٥، ص ١٩٠٧.

٣-القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٠٠.

٧٦.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

ثم سُميت القرابة رحماً الكونهم يرجعون إلى رحم واحدة. و اختلف العلماء: في تحقيق معناها.

ف قيل: هي خلاف الأجنبي فتعمّ القرابة و الوصلة من جهة الولاء، ذكره الفيومي في المصباح^(١).

و قيل: هي قرابة الرجل من جهة طرفيه آباؤه وإن علوا، و أبناؤه و إن سفلوا، و ما يتصل بالطرفين من الأعمام و العمات و الإخوة و الأخوات و أولادهم.

و قيل: الرحم التي تجب صلتها كلّ رحم بين اثنين لو كان أحدهما ذكراً لم يتناكحا، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام و أولاد الأخوال.

و قيل: هي نسبة و إتصال بين المنتسبين تجمعهما رحم واحدة. قيل: و هذا يشبه أن يكون دورياً و ليس بدورياً، لأنّ الرحم الواقعة في التعريف بمعنى موضع تكوين الولد، فلا دور و هذا معنى قول بعضهم: هي عام في كلّ من يجمع بينك و بينه نسب و إن بعد، و هو أقرب إلى الصواب.

و يدلّ عليه ما رواه: علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»^(٢) أنها نزلت في بني أمية^(٣). و يؤيده روايات أخر.

و في هذه الفقرات: إشارة إلى ما فعله ﷺ مع قومه و عشيرته، و

١-المصباح المنير: ص ٢٢٣.

٢-محمد: ٢٢.

٣-تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٠٨.

في معنى الرحم ٧٧.

أسرته، وأقربائه من قريش، وبني المطلب وبني هاشم الذين كذبوه و
حاربوه ليطفؤوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

فحاربهم وقاتلهم وقتل منهم الجسم الغفير في بدر، وأحد، وأسر
منهم من أسره، لم تأخذه بهم رافة ولا عطفته عليهم رحم، غضباً لله
تعالى، وطلباً لمرضاته، وإحياء لدينه، حتى علت كلمته، وظهر دينه، و
لوكره المشركون.



وَأَقْصَى الْأُذُنَيْنِ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَ

قَرَبَ الْأَقْصَيْنِ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ،

«أقصاه» أبعده من قصا الشيء قصواً من باب - قعد - : إذا بعد.

و «الأذنين والأقصين» بفتح ما قبل، علامة الجمع فيها.

«الأقارب والأباعد» جمع أدنى وأقصى، وأصلهما، الأذنين و

الأقصين، تحركت يائهما المنقلبتان عن واو في الأصل، لأنهما من الدنوّ

القصوّ، وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفين، ثم حذفنا لإلتقاء الساكنين و بقيت

الفتحة قبلهما دليلاً عليهما، وهذا الحكم جار في كلّ مقصور يجمع هذا

الجمع فتحذف ألفه دون الفتحة التي قبله لتدلّ عليها. و في التنزيل:

«وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ»^(١)، «وَأَنْتُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُضْطَقَيْنِ الْأَخْيَارِ»^(٢).

و «جحدّه جحداً و جحوداً» أنكره مع علمه.

و «استجاب له إستجابة» إذا دعاه إلى شيء فأطاع.

و «على» في الفقرتين: للتعليل: أي لجحودهم، ولإستجابتهم كقوله

تعالى: «لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْنَكُمُ»^(٣) أي لهدايته إياكم.

و اعلم: أن الجحود على نوعين.

أحدهما: جحود تشبيه، إذ المشبهون الله سبحانه بخلقه، وإن اختلفوا

في كَيْفِيَّةِ التشبيه بأسرهم جاحدون له في الحقيقة، وذلك أن المعنى الذي

يتصوّرونه و يثبتونه إلهاً ليس هو نفس الإله، مع أنّهم ينفون ما سوى

ذلك فكانوا نافرين للإله الحق في المعنى و جاحدين له.

١- آل عمران: ١٣٩.

٢- حق: ٤٧.

٣- الحج: ٣٧.

و الثاني: جحود من لم يثبت صانعاً، وكلا الفريقين جاحد له من وجه
و مثبت له من وجه، أما المشبهون فثبتون له صريحاً، جاحدون له لزوماً،
و أما الآخرون فبالعكس، إذ كانوا جاحدين له صريحاً من الجهة التي
ينبته العقلاء بها و مقرّون به إلزاماً و اضطراراً، فإنّ كلّ أحد إذا وقع في
محنة، و اضطرّ في ضيق، فزع من دون إختيار إلى ربّه و تضرّع إليه في
النجاة و الخلاص، و إليه الإشارة بقوله تعالى: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي
الْبَحْرِ ضَلُّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ كَفُوراً»^(١).



وَإِلَىٰ فَيْكِ الْأُبْعَدِينَ،

وَ عَادَىٰ فَيْكِ الْأَقْرَبِينَ.

«الموالة» ضد المعادة والمراد بالأبعدين والأقربين: ما هو أعم من البعد في النسب و القرب فيه، فيدخل في الأبعدين: الأبعد نسباً أو سبباً، أو ولاءً، أو داراً، وفي الأقربين الأقرب كذلك، وكذا الكلام في الأدنى والأقصى في الفقرتين الأولتين، ولا حاجة إلى تخصيص الأولين بالقرابة والآخرين بالمكان تنادياً عن التكرار، والتأسيس خير من التأكيد، فإنّ الأفعال كافية في التأسيس، إذ اختصاص الإقصاء والتقريب بالمكان ظاهر، ولا داعي إلى التعميم فيها حتّى يكونا شاملين للموالة والمعادة فيلزم التكرار، وشمولها لهما لزوماً لا ينافي التأسيس.

وقوله ﷺ: «فيك» في كلا الفقرتين للتعليل: أي لأجلك وفيه إعلام بحبّه وبغضه ﷺ لله تعالى وهما من أعظم الأعمال، بل هما أوثق عرى الإيمان كما روى عن الصادق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله ﷺ: لكل ما قلتم فضل، وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله وتوليّ أولياء الله والتبرّء من أعداء الله»^(١).

وعن الصادق ﷺ أيضاً قال: من لم يحبّ على الدين ولم يبغض عن الدين فلا دين له»^(٢) والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

١- الكافي: ج ٢، ص ١٢٥، ح ٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ١٦.

وَأَذَابَ نَفْسِهِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ،
وَأَتَقَبَّهَا بِالدُّعَاءِ إِلَى مِلَّتِكَ،
وَشَقَّلَهَا بِالنُّضْحِ لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ.

«دأب الرجل في عمله» - كمنع - اجتهد، وأدأب نفسه وأجيره:
أجهدهما.

و «التبليغ والإبلاغ» الإيصال، والاسم: البلاغ بالفتح.
و «في» للتعليل.

و «الرسالة» بالكسر لغة: اسم من الإرسال وهو التوجيه، و عرفاً:
تكليف الله تعالى بعض عباده بواسطة ملك يشاهده و يشافهه أن يدعو
المخلوق إليه و يبلغهم أحكامه، و قد تطلق على نفس الأحكام المرسل به
كما وقع هنا.

و «الملة» - بالكسر - لغة: الطريقة المسلوكة، وإصطلاحاً: الطريقة
الإلهية المجتمعة عليها المثبتة للأحكام المتضمنة لمصالح العباد و عمارة
البلاد و النجاة في المعاد، و الملة و الشريعة و الدين متحدة ذاتاً و مختلفة
إعتباراً، فإنَّ الطريقة الإلهية من حيث أنها يجتمع عليها تسمى ملة، و من
حيث إظهار الله تعالى لها تسمى شريعة، و من حيث أنه يطاع بها تسقى
ديناً، و إجهاد الرسول ﷺ نفسه في تبليغ الرسالة، و إتاعبه لها في الدعاء
إلى الملة من وجوه:

إحدها: مقاساته للمتعاب الكثيرة و المكارة الشديدة من المشركين
في بدء دعوته حتى قال: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»^(١).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً إلى ذلك: «خاض إلى رضوان الله تعالى

كل غمرة، وتجرع فيه كل غصة، وقد تلون له الأدنون و تألب عليه الأقصون، و خلعت إليه العرب أعنتها، و ضربت إلى محاربتة بطون رواحلها، حتى أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدار وأسحق المزار»^(١).

الثاني: شدة حرصه على رجوع الخلق إلى الحق، و مبالغته في دعوتهم إليه، و كمال الإهتمام بشأنهم و كثرة تأسفه و تحسره على عدم إيمانهم، حتى خاطبه ربه بقوله تعالى: «لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»^(٢) أي أسفك على نفسك أن تقتلها حسرة على أن لا يؤمنوا.

و بقوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا»^(٣) شبهه برجل الذي فارقه أعزته و هو يستلطف على آثارهم، و يهلك نفسه حسرة و تأسفا على فراقهم.

و قال له: «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ»^(٤).

الثالث: معالجته للأمراض النفسانية، و إزالته للأعراض الظلمانية من نفوس الجهال و قلوب أهل الزيف و الضلال، فإن النفوس الجاهلة و ان كانت في أول الفطرة قابلة لنور العلم و ظلمة الجهل، لكنها بمزاولة الأعمال السيئة و الأفعال الشهوية و الفضيحة صارت كالبهائم و السباع مظلمة الذوات، و رسخت فيها الجهالات و الأخلاق الحيوانية و الدواعي السبعية، فيحتاج معالجتها إلى جهد جهيد، و عناء شديد، حتى

١- نهج البلاغة: ص ٣٠٧، الخطبة: ١٩٤.

٢- الشعراء: ٣.

٣- الكهف: ٦.

٤- خاطر: ٨.

في ما لا قاه ﷺ من الأذى من أمته ٨٣

يزيل عنها ظلمة الجهل ويجعلها قابلة لنور العلم، فيفيض عليها الحقائق العلمية والمعارف اليقينية، هذا مع تفاوت مراتب الأذهان في قبول التعليم، وتباين الفطن و الأفهام في الاستعداد للتفهم، وفي ذلك من التعب والمشقة ما لا خفاء به، ألا ترى أَنَّ طبيبَ البدن يشقُّ عليه علاج الأمراض الصعبة كحمى الدق والسل، والمرض المزمن ما لا يشقُّ عليه غيرها، خصوصاً إذا كثرت عليه المرضى واختلفت أمراضهم في قبول الدواء، فإن الأنبياء ﷺ ومن يقوم مقامهم أطباء النفوس المبعوثون لعلاج أمراضها، كما أَنَّ الحكماء أطباء الأبدان المخصوصون بمداواتها لغاية بقائها على صلاحها أو رجوعها إلى العافية من أمراضها.

رئي المسيح ﷺ خارجاً من بيت فاجرة مجاهرة بالفجور، فقيل: يا روح الله ما تصنعها هنا؟ فقال: إِنَّمَا يَأْتِي الطَّبِيبُ الْمَرْضَى^(١).

الرابع: إشتغاله حال التبليغ والدعوة بالخلق عن الحق، والإلتفات من المقام الأسنى إلى المقام الأدنى، فإنه ﷺ لما كان دائم التوجه إلى الملأ الأعلى، مستغرقاً في الإلتفات إليه، مرتبطاً به أشدَّ الإرتباط، مقبلاً عليه وكان مع ذلك منصوباً لتشريع الشريعة، وتأسيس الملة، وإرشاد الخلائق، وإفادة الحقائق، لم يكن له بدٌّ من النزول عن ذلك المقام العلوي إلى هذا العالم السفلي، فكان يجد عند ذلك من الجهد والتعب والمشقة والنصب ما لا مزيد عليه، ومن هنا قال ﷺ: «إِنَّهُ لَيَغَآنُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٢).

قوله ﷺ: «و شغلتها بالنصح لأهل دعوتك» الشغل بالضم وبضميتين:

١- لم نعثر عليه.

٢- سنن أبي داود: ج ٢، ص ٨٤ ح ١٥١٥.

٨٤.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

خلاف الفراغ، و شغله - كمنعه -، شغلاً بالفتح، و يضم و لا تقل: أشغله
إشغالاً فإنها لغة متروكة أو رديّة.

و مما يحكى من أدب الصاحب بن عباد رحمة الله، إن بعض العمال
كتب إليه: إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله، فوقع تحت
الرقعة: من كتب إشغالي لا يصلح لأشغالي.

و يقال: «إشتغل» بأمره فهو «مشتغل» بالبناء للفاعل نصّ عليه
الأزهري^(١) وغيره. و قال ابن فارس: ولا يكادون يقولون: «إشتغل» و
هو جائز، يعنى بالبناء للفاعل^(٢).

و «النصح» بالضمّ مصدر نصح له من باب - منع -، هذه اللفظة
الفصيحة، و عليها قوله تعالى: «إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ»^(٣) و في لغة
يتعدّى بنفسه، فيقال: نصحته، و الاسم: النصيحة، و هي كلمة جامعة، و
معناها: حيازة الخير للمنصوح له، من نصحت العسل إذا صفّيته من
الشمع، شَبَّهوا تخليص العقول من الغشّ بتخليص العسل من الشمع.
و قال الراغب: أصلها من نصحت التوب إذا خطته، و هي إخلاص
المحبّة لغيرك في إظهار ما فيه صلاحه إنتهى^(٤).

و المراد بنصحة ﷺ لهم: إرشادهم إلى مصالح دينهم و دنياهم، و
تعليمهم إياها، و عونهم عليها، و أمرهم بالمعروف و نهيمهم عن المنكر، و
الذبّ عنهم و عن أعراضهم، و السخاء عليهم بموجوده، و الإيثار لهم و

١- المصباح المنير: ص ٣١٦.

٢- المصباح المنير: ص ٣١٦.

٣- هود: ٣٤.

٤- المفردات: ص ٤٩٤، مع اختلاف يسير في العبارة.

حسن الخلق معهم، و اغتفار سيئاتهم وإكرامهم على حسناتهم و الدعاء لهم، وبالجملة جلب خير الدنيا و الآخرة إليهم خالصاً مخلصاً لوجه الله، و من ثم قيل: النصيحة في و جازة لفظها و جميع معانيها كلفظ الفلاح الجامع لخير الدنيا و الآخرة.

و «الدعوة» - بالفتح -: اسم من الدعاء و ما دعوت اليه من طعام و شراب يقال: نحن في دعوة فلان، و المراد بها هنا: الدعوة التي نسبها الله تعالى إلى نفسه في قوله سبحانه: «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ»^(١). عن ابن عباس: «دعوة الحق: قول لا إله إلا الله»^(٢).

قيل: و إنما سُميت دعوة لأنها التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة. و قيل: الدعوة: العبادة، فإنَّ عبادته تعالى هي الحق و الصدق. و قيل: هي بمعنى الدعاء الحق: أي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها. و إضافتها إلى الحق، للإيذان بملاستها له و اختصاصها به و كونها بمنزلة الباطل، كما يقال: كلمة الحق. قال الزجاج: و جائز أن يكون - والله أعلم - دعوة الحق أنه من دعا الله تعالى موثقاً استجيب له دعاؤه^(٣) إنتهى.

فالمراد بقوله ﷺ لأهل دعوتك: إما أهل توحيدك، أو أهل عبادتك، أو أهل دعائك. و يحتمل: أن يكون من قبيل الإضافة إلى الفاعل، أي الذين دعوتهم فأجابوا دعوتك و على كل وجه فالمراد بهم: المسلمون كما يقتضيه تشریفهم باضافتهم إلى الدعوة المضافة إليه.

٨٦.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

قال بعضهم: و لا يبعد أن يراد بتبليغ الرسالة: مطلق الرسالة دون
تبين الأحكام الأصولية و الفروعية، و بالدعاء إلى الملة: تبليغ الأحكام
الأصولية كما يشعر به لفظ الملة، و بالنصح لأهل الدعوة: تبليغ الأحكام
المفصلة الشرعية الفرعية كما يشعر به لفظ النصح، هذا كلامه و الله أعلم.



وَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْقُزَيْبَةِ وَ مَحَلُّ النَّأْيِ

عَنْ مَوْطِنِ رَجُلِهِ، وَ مَوْضِعِ رَجُلِهِ.

وَمَسْقُطُ رَأْسِهِ وَ مَسَانِسُ نَفْسِهِ،

«هاجر مهاجرة» إذا خرج من أرض إلى أرض، والاسم: الهجرة

بالكسر، والضم قليل.

قال الواحدي: المهاجر الذي فارق عشيرته ووطنه، وأصله من

الهجر الذي هو ضد الوصل^(١).

و «البلاد» - بالكسر - جمع بلدة مؤنث بلد. وهو من الأرض ما

كان مأوى للإنسان وإن لم يكن فيه بناء وجمعه: بلدان بالضم.

و «الغربة» - بالضم - البعد والنوى، غرب الشخص بالضم غربة

كشرف شرافة: بَعْدَ عَنْ وطنه، فهو غريب فعيل بمعنى فاعل. وغربته أنا

تغريباً، فتغرب و اغترب و غرّب بنفسه أيضاً تغريباً، وأغرب بالألف:

دخل في الغربة.

و «النأي» - بالهمز - البعد، نأي نأياً من باب - نفع - بعد، ويتعدى

بنفسه وبالحرف وهو الأكثر، فيقال: نأيت ونأيت عنه، ويتعدى بالهمزة إلى

ثان، فيقال: أنأيت عنه، والمراد ببلاد الغربة ومحل النأي: مهاجرة ﷺ و

هو المدينة المنورة وجمعية البلاد باعتبار ما حولها من القرى.

و قوله: «عن موطن رحله» متعلق بهاجر، ويحتمل تعلقه بالنأي.

و «الموطن» الوطن، وهو مكان الإنسان ومقره.

و «الرحل» - بفتح الراء وسكون الحاء المهملتين - مركب للبعير و

ما يستصحبه المسافر من الأثاث.

و «رحل الشخص» مأواه و منزله في الحضر، و منه: «إذا ابتلّت النعال فالصلاة في الرحال»^(١).

وإنما قيل لأمتعة المسافر «رحل» لأنها مأواه في السفر.
و المراد به هنا: إما رحل البعير، أو أُنات المسافر، فيكون موطن رحله: كناية عن مكان إقامته كما يقال: محطّ رحله و ملقّ رحله، و فلان حطّ رحله و ألقّ رحله، أي أقام و إن لم يكن له رحل، أو مأواه و منزله، أي الموطن الذي فيه مأواه مسكنه.

و «موضع رحله» كناية عن منشئة و مرباه، لأنه أوّل موضع وضع فيه رحله حين نشأ و أخذ يمشي، كما أن مسقط رأسه كناية عن مولده.
و «المسقط» - كمعقد و منزل - موضوع السقوط، و سقط الولد من بطن أمّه: خرج. و إنما أضيف المسقط إلى الرأس؛ لأنّ أوّل ما يسقط من الولد رأسه، يقال: هذا البلد مسقط رأسي، قال الشاعر:

خرجنا جميعاً من مساقط رؤوسنا على ثقة منّا بجود ابن عامر
و لا ينافي ذلك ما ورد في بعض الأخبار: «إنّ من خصائصه ﷺ أنّه وقع على قدميه حين الولادة لا على راسه تكريماً له و تعظيماً»^(٢). لأنّ مسقط رأس الرجل صار كناية عن مولده سواء ولد على رأسه أو على رجله بناء على الغالب عند الولادة.

على أنّ المشهور: أنّه ﷺ وقع على الأرض معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء^(٣). والله أعلم.

١- وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٤٧٨، ح ٤.

٢- السيرة الحلبية: ج ١، ص ٥٤.

٣- بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٢٩٧، ح ٣٦.

مو «المأنس» - بفتح العين وكسر ها - محلّ الأنس بالضم، وهو ضد الوحشة، أي المحلّ الذي كانت تأنس به نفسه.

و المراد بموطن رحله إلى آخره: مكّة شرفها الله تعالى، وقد كان يعزّ عليه صلوات الله عليه فراقها، والهجرة عنها روي: إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْهَا مَهَاجِرًا لَفَتَ إِلَيْهَا فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا وَلَا يَرَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَأَدْرَكَهُ رَقَّةٌ وَبَكَى، فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ ﷺ وَتَلَا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ إِنْ لَرَآدُكَ إِلَىٰ مَقَادٍ» (٢٨١).

وقيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجرته، وقد إشتاق إلى مولده و مولد آبائه و حرم إبراهيم ﷺ، فنزل جبرئيل ﷺ فقال له: أتشتاق إلى مكّة؟ قال: نعم، فأوحاها إليه (٣).

و روى عبد الله بن الحمراء: «إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَقُولُ مَخَاطِبًا مَكَّةَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ، وَ لَوْ لَا إِنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» (٤).

تبصرة

قيل: في هذه الفقرات إشارة إلى أَنَّ مَكَّةَ - شَرَفَهَا اللَّهُ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْبِقَاعِ، لِأَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَوْطِنُهُ وَمَنْشَأُهُ وَ مَوْلَدُهُ وَمَأْنَسُهُ أَفْضَلَ الْأَمَاكِنِ. وَ قَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْعَامَّةِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةِ.

١- القصص: ٨٥

٢- مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٢٦٨، نقلاً بالمعنى.

٣- الدر المنثور: ج ٥، ص ١٣٩.

٤- معجم البلدان: ج ٥، ص ١٨٣.

فذهب جمهورهم إلى أفضليّة المكة، وبعضهم إلى أفضليّة المدينة، و لكلّ من الفريقين حجج عقلية و نقلية يطول ذكرها، و أجمعوا على أنّ الموضع الذي ضمّ أعضاء و الشريفة أفضل بقاع الأرض.

و المستفاد من أحاديث أهل البيت عليهم السلام: أنّ مكة أفضل من سائر الأرض، و أنّ الصلّاة في المسجد الحرام أفضل من الصلّاة في مسجد النبي صلى الله عليه و آله، و أنّ مكة أفضل من سائر الأرض فيدلّ عليه ما رواه: رئيس المحدثين في الفقيه بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أحبّ الأرض إلى الله مكة، و ما تربة أحبّ إلى الله من تربتها، و لا حجر أحبّ إلى الله من حجرها، و لا جبل أحبّ إلى الله من جبالها، و لا ماء أحبّ إلى الله من مائها^(١). و أمّا كون الصلّاة في المسجد الحرام أفضل من الصلّاة في مسجد النبي صلى الله عليه و آله فيدلّ عليه صريحاً ما رواه: رئيس المحدثين أيضاً في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن مسعد بن صدقة: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: صلاة في مسجدني تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد إلا مسجد الحرام فإنّ الصلّاة فيه تعدل مائة ألف صلاة^(٢). و في هذا المعنى أخبار أخرى.

و قال شيخنا الشهيد رحمته الله في الدروس: مكة أفضل بقاع الأرض ما عدا قبر رسول الله صلى الله عليه و آله و روي: في كربلاء على ساكنها السلام، مرجّحات^(٣). و الأقرب أن موضع قبور الأئمة عليهم السلام كذلك أما البلدان التي هم فيها فمكة أفضل منها حتّى المدينة.

١-من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٤٣، ح ٢٣٠٤.

٢-ثواب الأعمال: ص ٣٠، ح ١، باب ثواب الصلّاة في مسجد النبي صلى الله عليه و آله.

٣-الكافي: ج ٤، ص ٥٨٧، ح ٦.

في أفضلية الصلاة في مسجد الحرام ٩١.

و روى صامت عن الصادق عليه السلام: «إن الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة»^(١).

و مثله رواية السكوني عنه، عن آبائه عنه عليهم السلام.

و اختلفت الروايات في كراهة المجاورة بها و استحبابها و المشهور الكراهة. إمّا لخوف الملاثة و قلّة الإحترام. و إمّا لخوف ملابسة الذنوب بها أعظم، و قال الصادق عليه السلام: كلّ الظلم فيها إلحاد حتّى ضرب الخادم^(٢). و لذلك كرهه الفقهاء سكّنى مكّة. و إمّا ليدوم شوقه إليها إذا أسرع خروجه منها و لهذا ينبغي الخروج منها عند قضاء المناسك و روي: أن المقام بها يقسّي القلب^(٣).

و الأصحّ: استحباب المجاورة بها للوائق من نفسه بعدم هذه المحذورات لما رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام: من جاور بمكة سنة غفر الله له ذنبه و لأهل بيته و لكلّ من استغفر له و لعشيرته و لجيرانه ذنوب تسع سنين قد مضت و عصموا من كلّ سوء أربعين و مائة سنة^(٤).

و روي أن الطاعم بمكة كالصائم فيما سواها، و صيام يوم بمكة يعدل صيام سنة فيما سواها^(٥).

و من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة أو أقل أو أكثر كتب الله له

١- الكافي: ج ٤، ص ٥٢٦، ح ٥.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٥٢٦، ح ٦.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٥٢٧، ح ٢.

٣- علل الشرايع: ص ٤٤٦، ح ٣.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٧، ح ٢٢٦٠.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٧، ح ٢٢٥٩.

٩٢.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

من الأجر والحسنات من أوّل جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون،
وكذا في سائر الأيام^(١).

وقال بعض الأصحاب: إن جاور للعبادة استحب، وإن كان للتجارة
ونحوها كره، جمعاً بين الروايات.

وروى محمد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام: لا ينبغي للرجل أن يقيم
بمكة سنة^(٢).

وفيه إشارة إلى التعليل بالملل وأنه لا يكره أقل من سنة^(٣).



١- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢٦، ح ٢٢٥٦.

٢- علل الشرايع: ص ٤٤٦، ح ٤.

٣- الدروس للشهيد: ص ١٣٩.

إِرَادَةٌ مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَ
أَسْتِثْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ.

«الأرادة» هي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره و تصوّر الغاية المترتبة عليه من خير أو نفع أو لذة أو نحو ذلك، وهي: أخصّ من المشيئة، لأنّ المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة، والظنّ إلى الجزم، فإنّك ربما شئت شيئاً ولا تريده لما منع عقليّ أو شرعيّ.

و أمّا الإرادة فمضى حصلت صدر الفعل لا محالة، وقد يطلق كلّ منها على الأخرى توسعاً.

و إنتصابها على المفعول لأجله: أي هاجر لأجل إرادته.

«إعزاز دينك» أي لتقويته، من العزة بمعنى الشدّة والقوّة.

قال في المحكم: عززت القوم و أعززتهم و عززتهم: قوّيتهم، و في التنزيل: «فَعَزَّزْنَا بِبَالٍ»^(١) أي قوّينا و شدّدنا^(٢) إنتهى.

أو لإكرام دينك من عزّ عليّ يعزّ عزّاً و عزّة و عزازة: كرم، و أعززته: أكرمته.

و «الدين» - في اللغة - الطاعة، و في العرف الشرعي: هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل ﷺ، و لما كان إتّباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصاً من الشارع للعام بأحد مسميّاته، و لكثرة إستعماله صار حقيقة دون سائر المسمّيات، لأنّه المتبادر إلى الفهم حال إطلاق لفظة الدين.

و «الإستنصار» طلب النصرة، إستنصره وإستنصر به فنصره على
عدوه: أعانه وقواه.

وقوله ﷺ «بك»: يحتمل تعلقه به وبالكفر، إذ يقال: كفره وكفر به.
و المراد بأهل الكفر: أهل الملل المتفرقة والأهواء المنتشرة الذين
كانوا عند مقدمه ﷺ كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بعث الله
محمد ﷺ لإحجاز عدته، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه،
مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء
منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير
إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة^(١).

قال بعض العلماء: إعلم أن الخلق عند مقدمه ﷺ إما عليه اسم
الشرائع، أو غيرهم.

أما الأولون: فاليهود والنصارى والمجوس، وقد أديانهم إظمحلت
من أيديهم، وإنما بقوا متشبهين بأهل الملل، وقد كان الغالب عليهم دين
التشبيه ومذهب التجسم، كما حكى القرآن الكريم عنهم: «وَقَالَتِ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ»^(٢). «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ
أَبْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ»^(٣).

والمجوس أبتوا أصليين أسندوا إلى أحدهما: الخير وإلى الثاني: الشر،
وسمّوهما: النور والظلمة، وبالفارسية: يزدان وأهرمن، ثم زعموا أنه
جرت بينهما محاربة، ثم إن الملائكة توسّطت وأصلحت بينهما على أن

١-نهج البلاغة: ص ٤٤، الخطبة ١.

٢-المائدة: ١٨.

٣-التوبة: ٣٠.

يكون العالم السفلي خالصاً لأهر من الذي هو الظلمة، سبعة آلاف سنة، ثم يخلي العالم و يسلمه إلى يزدان الذي هو النور، إلى غير ذلك من هذيانهم و خبطهم.

و أما غيرهم من أهل الأهواء المنتشرة و الطرائق المستثناة فمنهم: العرب أهل مكّة و غيرهم، و قد كانت منهم معطّلة، و منهم محصّلة نوع تحصيل. أما المعطّلة: فصنف منهم أنكروا الخالق و البعث و الإعادة، و قالوا: بالطبع المحيي و الدهر المغيي، و هم الذين حكى القرآن عنهم: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»^(١) و قصروا الموت و الحياة على تحلل الطبايع المحسوسة و تركبها، فالجامع هو الطبع، و المهلك هو الدهر: «وَمَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ»^(٢). و صنف منهم: أقرّوا بالخالق و ابتداء الخلق عنه، و أنكروا البعث و الإعادة، و هم المحكي عنهم في القرآن الكريم: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَبَّيْ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ • قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»^(٣)

و صنف منهم: إعترفوا بالخالق و نوع من الإعادة، لكنهم عبدوا الأصنام و زعموا أنّها شفعاؤهم عند الله كما قال تعالى: «وَيَقْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُواَنَا عِنْدَ اللَّهِ»^(٤).

١-الجمانية: ٢٤.

٢-الجمانية: ٢٤.

٣-يس: ٧٨ - ٧٩.

٤-يونس: ١٨.

٩٦.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

و من هؤلاء: قبيلة ثقيف وهم أصحاب اللات بالطائف و قريش، و
بنو كنانة، و غيرهم أصحاب العزى.

و منهم: من كان يجعل الأصنام على صور الملائكة و يتوجه بها
إلى الملائكة.

و منهم: من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى: «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ
الْجِنَّ»^(١).

و أما المحصلة: فقد كانوا في الجاهلية على ثلاثة أنواع من العلوم.

أحدها: علم الأنساب و التواريخ و الأديان.

و الثاني: علم تعبير الرؤيا.

و الثالث: علم الأنواء، و ذلك مما يتولاه الكهنة و القافة منهم.

و عن النبي ﷺ: «من قال: مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل
على محمد»^(٢).

و من غير العرب: البراهمة من أهل الهند، و مدار مقالتهم على
التحسين و التقبيح العقليين و الرجوع في كل الأحكام إلى العقل و إنكار
الشرائع، و إنتسابهم إلى رجل منهم يقال له: براهيم.

و منهم: أصحاب البددة و البددة^(٣) عندهم شخص في هذا العالم لم
يولد و لا ينكح و لا يطعم و لا يشرب و لا يهرم و لا يموت.

و منهم: أهل الفكرة، و هم أهل العلم منهم بالفلك و أحكام النجوم.

١- سيبا: ٤١.

٢- سنن أبي داود: ج ٤، ص ١٦، ح ٣٩٠٦، مع اختلاف يسير في العبارة، و كذا جاء في

الموطأ: ج ١، ص ١٩٢، ح ٤، و مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ١١٧.

٣- (الف) و (ج) البدوة و البدوة.

في أقسام الكفر ٩٧.

و منهم: أصحاب الروحانيات الذين أثبتوا و سائط روحانيّة تأتيم
بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فتأمرهم و تنهاهم.
و منهم: عبدة الكواكب.

و منهم: عبدة الشمس.

و منهم: عبدة القمر، و هؤلاء يرجعون بالأخرة إلى عبادة الأصنام،
إذ لا تستمرّ لهم طريقة إلا بشخص حاضر ينظرون إليه و يرجعون إليه
في مهمّاتهم، و لهذا كان أصحاب الروحانيات و الكواكب يتّخذون
أصناماً على صورها، فكان الأصل في وضع الأصنام ذلك، إذ يبعد ممّن
له أدنى فطنة أن يعمل خشباً أو حجراً بيده ثم يتّخذة إلهاً إلا أن الخلق
لما عكفوا عليها و ربطوا حوائجهم بها من غير إذن شرعي و برهان من
الله تعالى كان عكوفهم عليها و عبادتهم لها إثباتاً لإلهيتها و وراء ذلك
من أصناف الآراء الباطلة و المذاهب الفاسدة أكثر من أن تحصى و هي
مذكورة في الكتب المصنّفة في هذا الفن، و يدخل أربابها جميعهم
تحت أهل الكفر.



حَتَّى اسْتَتَبَ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أُغْذَائِكَ،

وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ

قال ابن الأثير في النهاية في حديث الدعاء: حَتَّى اسْتَتَبَ لَهُ مَا حَاوَلَ
في أعدائك: أي إستمقام وإستمرار^(١).

و قال الجوهري: إستمب له الأمر: أي تهيأ واستقام^(٢).

و قال الزمخشري في الأساس: استتب له الأمر: أي إستمقام وتم، و
يجوز أن يقال للإستقامة والتمام: الإستمباب، أي طلب التباب لأنَّ
التباب يتبع التمام إنتهى^(٣).

يريد بالتباب: النقص والهالك لأنَّ الشيء إذا تمَّ نقص وخلص،
فكأنَّه هلك.

و «حاول الشيء» أراده. وقيل المحاولة: طلب الشيء بحيلة. و
«استتم» أي تم كقر واستقرَّ قال الرضى: ولا بدَّ في «إستقرَّ» من مبالغة^(٤).
و «دبر الأمر تدبيراً» فعله عن فكر وروية، مأخوذ من الدبر كأنَّه
نظر في دبره أي في عاقبته وآخريته. ومفعولاً حاول و دبر محذوفان: أي
ما حاوله و دبره، والمراد بما حاوله في الأعداء غلبته عليهم والقهر لهم، و
بما دبر في الأولياء صدق رغبتهم في الجهاد وإجتاع قلوبهم عليه لما
عرفهم من عظيم فضله و جزيل أجره فعلم حينئذٍ أنَّهم سيفلبون و
ينتصرون.

١-النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ١٧٨.

٢-الصحيح: ج ١، ص ٩٠.

٣-أساس البلاغة: ص ٥٩.

٤-شرح الشافية: ج ١، ص ١١١.

فَسَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحًا بِعَوْنِكَ،
وَمُسْتَقْوِيًّا عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ.

«نهد إلى العدو نهداً» من بابي - نفع و قتل - : نهض و برز، و الفاعل ناهد، و الجمع نهاد، مثل كافر و كفّار، و ناهدته مناهدة: ناهضته، و تناهدوا في الحرب: نهض بعضهم إلى بعض للمحاربة.

و «مستفتحاً» أي مستنصراً و طالباً للفتح، فالباء: للإستعانة يقال: فتح الله على نبيه، أي نصره، و هو يستفتح الله للمسلمين على الكفار. و يحتمل أن يكون بمعنى مفتتحاً و الباء للملابسة، أي مفتتحاً للجهاد حال كونه ملتبساً بعونك، أو للسببية أي بسبب عونك له. و «مستقوياً» اسم فاعل من تقوى، أي صار ذا قوة.

و «على» بمعنى مع، أي مع ضعفه، مثلها في قوله تعالى: «وَأَتَى أُمَمًا عَلَىٰ حُبِّهِ»^(١).

و «الضعف» - بالفتح و الضم - خلاف القوة.

و قيل: هو بالضم في الجسد، و بالفتح في العقل و الرأي.

و يروى عن ابن عمر أنه قال: قرأت على النبي ﷺ: الذي خلقكم من ضعف بالفتح، فأقرأني «من ضعف» بالضم^(٢).

و «الضعف» - بحركة - لفة في الضعف حكاه ابن الأعرابي^(٣).

و «النصر» الإعانة على العدو، و فيه إشارة إلى أن إستفتاحه ﷺ و تقويته على الكفار إنما كان بعون الله و نصره، لا بالأسباب الظاهرة و

١- البقرة: ١٧٧.

٢- الدر المنثور: ج ٥، ص ١٥٨.

٣- لسان العرب: ج ٩، ص ٢٠٣.

١٠٠.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

التدبير الذي دبره، كما قد يتوهم من الفقرة السابقة، فإنها بمعزل عن التأثير. وإنما التأثير مختص به تعالى كما قال تعالى: «وَمَا أَلْتَضِرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»^(١) أي كائن من عنده من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب و العدد وإنما هي مطابقة له بطريق جريان السنّة الإلهية.



فَقَزَّاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَمَ

عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ.

«غزاه غزواً» أرادَه وقصدَه كإغترازه، ومنه مغزى الكلام أي مقصدَه. وغزا العدو: سار إلى قتالهم وإنتابهم غزواً وغزواناً غزاةً. وقيل: إنما يكون غزو العدو في بلاده.

و «عقر الدار» - بضم العين وفتحها - أصلها، وقيل: وسطها، قاله في المحكم^(١).

و قال الأزهرى: قال أبو عبيد: سمعت الأصمعي يقول: عُقر الدار بالضم في لغة أهل الحجاز، فأما أهل نجد فيقولون: عُقر بالفتح، ومنه قيل: العقار - بالفتح وهو المنزل والأرض والضياع^(٢).

و قال بعضهم: عقر الدار: أصلها في لغة الحجاز، وتضم العين وتفتح عندهم، وعقرها معظمها في لغة غيرهم وتضم لا غير^(٣).

و قال الزجاج: عقر دار القوم: أصل مقامهم الذي عليه معولهم، وإذا انتقلوا منه لنجعة رجعوا إليه^(٤).

و «الديار» جمع دار، وهي المحل بجميع البناء والعروة والبلد. قال الجوهري: الدار مؤنثة وإنما قال تعالى «وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ»^(٥) و ذكر على معنى المنوى كما قال تعالى: «نِعْمَ السُّؤَابُ وَحَسُنَتْ

١- المحكم لابن سيده: ج ١، ص ١٠٦.

٢- تهذيب اللغة: ج ١، ص ٢١٧.

٣- المصباح المنير: ص ٤٢١.

٤- تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الثاني من القسم الثاني، ص ٢٨.

٥- النحل: ٣٠.

مُرْتَفَقاً»^(١) فأنت على المعنى وأدنى العدد أدور؛ والهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة. ولك أن لا تهمز والكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال، ودور أيضاً مثل أسد وأسد^(٢) إنتهى.

و «هجم عليه هجوماً» - من باب قعد - دخل بغتة على غفلة منه. و «محبوحة الدار والمكان» - بالضم - وسطه، مجبع و تبحيح: إذا تمكّن وتوسط المنزل والمقام.

و «القرار» - بالفتح - المكان الذي يستقرّ فيه. وهذا من جملة ما حاوله عليه الصّلاة والسلام في أعداء الله ودّبره في أوليائه إذ غزا الكفار في عقر ديارهم ومحبوحة قرارهم ليكون أعظم في ذلهم وأشدّ في هوانهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلّوا»^(٣).

قيل: و علة ذلك أنّ للأوهام أفعالاً عجيبة في الأبدان تارة بزيادة القوّة وتارة بنقصانها حتّى أنّ الوهم ربّما كان سبباً لمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان السبب في ذلّ من غزي في داره وإن كان معروفاً بالشجاعة هو الأوهام، أمّا أوهامهم، فلأنّها تحكم بأنّه لم يقدم على غزوهم في مكانهم إلا لقوة غازيهم وإعتقاده فيهم الضعف بالنسبة إليه فتتفعل إذن نفوسهم عن تلك الأوهام وتنقهر عن المقاومة، وتضعف عن الإنبعاث، وتزول غيرتها وحميتها، فتحصل على طرف رذيلة الذلّ. وأمّا أوهام غيرهم فلأنّ الغزو الذي يلحقهم يكون باعثاً لكثير من

في الذين غزاهم ﷺ في عقر ديارهم ١٠٣.

الأوهام على الحكم بضعفهم وحرّكاً لطمع كلّ طامع فيهم فيثير ذلك لهم أحكاماً وهمية تعجزهم عن المقاومة فتكون سبباً للانتصار عليهم والقهر لهم والابقاع بهم.

أما الذين غزاهم ﷺ في عقر ديارهم فقبائل كثيرة.

منهم: بنو قينقاع بفتح القاف وسكون الياء المنشأة من تحت و تثليث النون والضمّ أشهر ثم قاف مفتوحه وبعد الألف عين مهملة وهم: حيّ من اليهود منازلهم عند جسر بطحان بمآبلي العالية، حاصرهم ﷺ في حصنهم حتّى نزلوا على حكمه فربطهم ثم أجلاهم.

و «غطفان» غزاهم بنجد فلما سمعوا بمهبطة ﷺ هربوا في رؤوس الجبال.

و «بنو النضير» قبيلة كبيرة من اليهود، وكانوا أهل حصون وعقار و نخل كثير غزاهم ﷺ في أماكنهم وحاصرهم في حصونهم خمسة عشر يوماً فجهدهم الحصار فأرسوا اليه ﷺ إنا نخرج من بلادك فأمرهم بالخروج فخرجوا.

و «أنمار و ثعلبة و غيرهم» جمعوا جموعاً لقصد المسلمين فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فضى إليهم حتّى أتى محالهم بذات الرقاع فهربوا إلى رؤوس الجبال فلم يجد المسلمون إلا نسوة فأخذوهنّ.

و «أهل دومة الجندل» قال سعد: غزاها النبي ﷺ و نزل بساحة أهلها فلم يجدوا إلا الأنعام و الشياة فهجم على ما شيتهم و رعاتهم فأصاب من أصاب، و هرب في كلّ وجه من هرب.

و «بنو المصطلق» و هم بطن من خزاعة غزاهم في قرارهم، و هو ماء لهم يسمّى المريسيع بالتصغير و العين المهملة في آخره. فهجم عليهم و

١٠٤ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

مما غاروهم غارون و أنعامهم تسقى على الماء فقاتل مقاتلتهم و سبى
ذراريهم و هم على الماء.

و «بنو قريظة» و هم إحدى قبائل اليهود غزاهم ﷺ في أماكنهم و
حاصرهم في حصنهم خمساً و عشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، فزولوا
على أن يحكم فيهم سعد بن معاذ بحكمه، فحكم فيهم: بقتل الرجال، و
غنم الأموال، و سبي الذراري و النساء، فقال له رسول الله ﷺ: لقد
حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة فجاء بهم إلى المدينة مقرنين
في الأصفاد، و هم ثمانمائة رجل أو أكثر، ثم ضرب أعناقهم.

و «بنو الحيتان» غزاهم في منازلهم فهربوا و تمنعوا بشعف الجبال.

و «يهود خيبر» غزاهم في ديارهم، و حاصرهم في حصونهم حتى
أنزلهم من صياصيمهم و كان قدم عليهم ليلاً فلم يشعروا بقدمه فلما
أصبحوا فتحوا حصونهم و خرجوا بمساحيهم و مكاتلهم إلى أعماهم،
فلما رأوه قالوا: هذا والله محمد و الخميس معه فولّوا هاربين إلى حصونهم
و جعل ﷺ يقول: الله أكبر خربت خيبر و فإذا نزلنا بساحة قوم «فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُتَنَذِرِينَ»^(١)، ثم حاصرهم حتى فتح الله عليه جميع حصونهم
و هي عشرة.

و «يهود وادي القرى» غزاهم و حاصرهم ليالى و فتح الوادي و
أصاب المسلمون به أموالاً كثيرة و أمتعة و ميرة^(٢).

و «قريش» غزاهم بمكة و فتحها فكان الفتح المبين و النصر العزيز.
و «هوازن» غزاهم بحنين.

في الذين غزاهم ﷺ في عقر ديارهم ١٠٥.

و «ثقيف» غزاهم بالطائف. هؤلاء الذين غزاهم ﷺ بنفسه في عقر ديارهم، و هجم عليهم في مجبوحة قرارهم سوى غزواته الأخرى، و سوى سراياه، و كان جميع غزواته بنفسه الشريفة: ستاً و عشرين غزوة، و جميع سراياه: ستاً و ثلاثين سرية، و تفصيل ذلك تتكفل به كتب السير و الله أعلم.



حَقَّ ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ

كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

«ظهر الشيء يظهر» من باب - منع -، ظهوراً: تبين وبرز بعد الخفاء.

و ظهر عليه: غلب و علا و أظهره الله.

و «أمر الله تعالى» هنا دينه و شريعته كما فسّر به قوله تعالى: «وَظَهَرَ

أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَهُ»^(١) أي غلب دينه و علا^(٢).

و «العلو» الإرتفاع و الغلبة و القهر أي ارتفعت كلمتك أو غلبت و

قهرت من قولهم علا فلان فلاناً: إذا غلبه و قهره.

و «كلمة تعالى» قيل: كلمة التوحيد.

و قيل: الدعوة إلى الإسلام قال تعالى: «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا

السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا»^(٣) قال المفسرون: كلمة الذين كفروا هي

دعوتهم إلى الكفر و عبادة الأصنام.

و «السفلى» الدنية التي لا يبالي بها.

و «كلمة الله» هي دعوته إلى الإسلام، أو كلمة التوحيد لا إله إلا الله،

و العليا العالية إلى يوم القيامة.

قوله ﷻ: «ولو كره المشركون» جواب (لو) محذوف لدلالة ما قبله

عليه و الجملة معطوفة على جملة قبلها مقدّرة، و كلتاها في موضع

الحال، أي ظهر أمرك و علت كلمتك لو لم يكره المشركون ذلك، ولو

كرهه أي على كلّ حال مفروض و قد حذفت الجملة في الباب حذفاً

١-التوبة: ٤٨.

٢-تفسير الكشاف: ج ٢، ص ٢٧٧.

٣-التوبة: ٤٠.

في أقسام الشرك ١٠٧.

مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلئن يتحقق عند عدمه أولى، وعلى هذا السر يدور ما في (إن) و (لو) الوصلتين من التأكيد.

و «المشركون» هم الذين أشركوا بالله تعالى فجعلوا له شركاء في العبادة.

قال العلماء: وليس أحد في العالم يثبت لله سبحانه شريكاً في الوجوب والعلم والقدرة، ولكن الثنوية يثبتون إلهين إثنين حكماً يفعل الخير و سفعهاً يفعل الشرّ أما المتخذون معبوداً سوى الله تعالى فكثيرون منهم، عبدة الكواكب و هم: الصابئة، و منهم: عبدة المسيح، و منهم: عبدة الأوثان و لا دين باطل أقدم من دينهم، لأن أقدم الأنبياء الذين نقل إلينا تاريخهم هو نوح عليه السلام و هو لما جاء بالرد عليهم «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا»^(١) و دينهم باق إلى الآن و عبادتهم لها في مبدأ الأمر لم تكن لإعتقادهم فيها أنها آلهة إذ العلم بأن هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقتني و خلق السماوات و الأرض، علم ضروري فيمتنع اطباق جمع عظيم عليه فوجب أن يكون لهم غرض آخر سوى ذلك و قد ذكروا فيه و جوهاً. أحدها: أن بعضهم كأهل الصين و الهند كانوا مجسمة فأتخذوها أشباهاً لله تعالى و ملائكته، و اعتكفوا على عبادتها لقصد طلب الزلي إلى الله و ملائكته.

الثاني: إنهم إتخذوها أصناماً للكواكب، و قصدوا بعبادتها عبادة الكواكب، و هم بالحقيقة عبدة الكواكب.

الثالث: إن أصحاب الأحكام اتخذوها طلاسماً في أوقات مخصوصة وعظموها لإعتقادهم الإنتفاع بها.

الرابع: إنهم اتخذوها على صور رجال كانوا يعتقدون فيهم إجابة الدعوة وقبول الشفاعة فعبدوها على إعتقاد أن أولئك الرجال يكونون شفعاء لهم يوم القيامة عند الله، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

الخامس: لعلمهم إتخذوها قبلة لطلاتهم وعبادتهم يسجدون إليها لا لها كما إننا نسجد إلى القبلة لا للقبلة.

السادس: لعلمهم كانوا حلولية فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها. فهذه الوجوه هي التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث بعلم بطلانه بالضرورة، ثم لما تطاول الأمد ونسي مبدأ الأمر ظن جهال القوم أنها آلهة لهم يجب عبادتها فعبدوها وسموها آلهة واشتبهت حال من يعتقد أنها آلهة مساوية لله تعالى في ذاته وصفاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فسموا مشركين وسمى الله آلهتهم أنداداً تهكأ بهم^(١) وتشنيعاً عليهم فقال «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(٢).



١- تهكم به: أي استهزأ به واستخف، النهاية لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٦٨.

٢- البقرة: ٢٢.

اَللّٰهُمَّ فَارِفَعُهُ بِمَا كَدَحَ فِيْكَ اِلَى الدَّرَجَةِ
 الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتّٰى لَا يُسَاوِىْ فِي
 مَنْزِلَةٍ وَلَا يُكَافَاُ فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيْهُ
 لَدَيْكَ مَلَكٌ مُّقْرَّبٌ وَلَا نَسِيْهُ مُرْسَلٌ.

«الفاء» فصيحة، أي إذا كان كذلك فارفعه.

و «الباء» للسببية، و «ما» مصدرية، أي بسبب كدحه كقوله تعالى:
 «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا»^(١).

و «الكدح» جهد النفس في العمل و الكد فيه بحيث يؤثر فيها، من
 كدح جلده: إذا خدشه.

و قيل في قوله تعالى: «يَتَأْتِيهَا الْاِنْسُنُ اِنَّكَ كَادِحٌ اِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
 فَمُنْقِصِيهِ»^(٢) اِنَّ المراد بالإنسان: محمد ﷺ المعنى: اِنَّكَ تكدح في تسليغ
 رسالات ربك فأبشر فإنك تلقى الله بهذا العمل.

و «في» من قوله: «فيك» للتعليل، أي لأجلك، أو ظرفية على حذف
 مضاف أي في سبيلك.

و «الدرجة» المرقاة و الطبقة.

و «العليا» اسم تفضيل مؤنث الأعلى و أصلها العلوى لأنها من على
 يعلو فقلّبت الواو ياء تخفيفاً لما في كون الظمة في أوّل الكلمة و الواو قرب
 الآخر من نوع ثقل مع قصد الفرق بين الاسم و الصفة فقلّبت الواو ياء في

الاسم دون الصفة، لكون الاسم أسبق من الصفة وإنما حكموا بأن العليا اسم لا صفة لأنها لا تكون وصفاً بغير الالف واللام، فلا تقول: درجة عليا، كما لا تقول دار دنيا، بل الدرجة العليا والدار الدنيا فأجريت مجرى الأسماء التي لا تكون وصفاً لأن الصفة لا تلزم حالة واحدة وإنما شأنها أن تكون مختلفة تارة نكرة وتارة معرفة فلما اختص الوصف بها بحال التعريف كان كونها صفة كلا صفة في ذلك الدنيا.

قال ابن جني: العليا والدنيا وإن كانتا صفتين إلا أنها خرجتا إلى مذهب الأسماء كالأجرع والأبطح^(١).

و «الجنة» لغة البستان من النخل والشجر المتكاثف بإلتفاف أغصانها فعلة من جنة: إذا ستره كأنها سترة واحدة لإلتفافها، و شرعاً اسم لدار الثواب كلها، ولما كانت الجنة درجات متفاوتات، ومنازل متفاوتات كما قال تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»^(٢). وقال سبحانه: «لَهُمْ غُرُوفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرُوفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»^(٣). وكان من مقتضى عدل الله تعالى أن يبلغ نفساً هي محل الرسالة أقصى ما استعدادت له من درجات الكمال ويعدها بذلك لكمال أعلى، دعا له ﷺ أن يرفعه تعالى إلى الدرجة العليا التي لا درجة أعلى منها.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الوسيلة درجة

١- لم نعر عليه.

٢- الأنفال: ٤.

٣- الزمر: ٢٠.

في بيان معنى لفظي المنزلة والمرتبة ١١١.

عند الله ليس فوقها درجة فاسئلوا الله أن يؤتيني الوسيلة^(١).

و في خبر: الوسيلة درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها فاسئلوا الله أن يؤتينها على رؤوس الخلايق^(٢). فكأن ما في الدعاء إشارة إلى ذلك.

قوله ﷺ: «حتى لا يساوى في منزلة» يجوز أن تكون حتى بمعنى (كى): التعليلية و أن تكون بمعنى إلى أن.

و «ساواه مساواة» ما ثله و عادله قدرأ و قيمة، و منه قولهم: هذا يساوى درهماً، أي يعادل قيمته درهماً، و أمّا قولهم: يسوى درهماً فليس عربياً صحيحاً. و قيل: هي لغة قليلة.

و «المنزلة» المكانة عن الملك و نحوه، يقال: له منزلة عند الأمير، و هي إستعارة من موضع النزول.

قوله ﷺ: «و لا يكافأ في مرتبة» كافأ فلان فلاناً مكافأةً و كفاء: ماثله، و هو كفؤه أي بماثله.

و «المرتبة» المنزلة و المكانة كالمرتبة بالضم من رتب الشيء رتباً بمعنى ثبت. قال الزمخشري في الأساس: و من الهجاز لفلان مرتبة عند السلطان و منزلة و هو من أهل المراتب و هو في أعلى الرتب^(٣) إنتهى. و التنكير في الفقرتين للتعميم إي في شيء من المنازل و المراتب. قوله ﷺ: «و لا يوازيه لديك ملك مقرب» الإزاء: المحاذاة و المقابلة.

١-مسند احمد بن حنبل: ج ٣، ص ٨٣، كنز العمال: ج ١٤، ص ٤٠١، ح ٣٩٠٧١.

٢-مسند احمد بن حنبل: ج ٢، ص ٣٦٥، روى شطراً منه.

٣-أساس البلاغة: ص ٢١٩.

قال الجوهري: هو بإزائه أي بمحذائه وقد آزيت: إذا حاذيته، ولا تقل وازيته^(١) إنتهى.

و في أساس البلاغة: بنو فلان يؤازرون بني فلان أي يقاومونهم في كونهم إزاء للحرب، و فلان لا يؤازيه أحد^(٢) إنتهى.

و ما منعه الجوهري من قول وازيته^(٣) أثبتته بعضهم وقال: إنها لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واواً فيقال: وازيته و واتيته و هو المشهور على السنة الناس.

تبصرة

قال بعضهم: فائدة دعاء الأمة للرسول ﷺ برفعه إلى الدرجة العليا وأقصى مراتب الزلفى أن الله سبحانه قدّره تلك الدرجة و المنزلة بأسباب.

منها: دعاء أُمته ورغبتهم إلى ربهم أن ينيله إياها وذلك بما نالوه على يده من الإيمان والهدى كما يدل عليه أمره ﷺ لأُمته أن يسألوه له كما مرّ في حديث الوسيلة وأنكر هذا جماعة من المتكلمين و خصوصاً الأصحاب، وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما وقع إمتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: «صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٤) وإلا فهو ﷺ قد أعطاه الله من علوّ الدرجة، و قرب المنزلة، و عظيم الفضل، و الجزاء ما لا يؤثر فيه

١- الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٦٨.

٢- أساس البلاغة: ص ١٦.

٣- الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٦٨.

٤- الأحزاب: ٥٦.

في بيان معنى لفظي المنزلة والمرتبة ١١٣.

دعاء داع وجد أو عدم، وفائدة الدعاء إنما يعود إلى الأمة الداعين له لينالوا به زيادة الإيمان ويستفيدوا به الزلفى من الله تعالى وحسن الثواب كما جاء: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً»^(١). ولعلّ الأقرب من الصواب ما قاله بعض المحققين من أصحابنا: إنه لما كانت مراتب إستحقاق نعم الله تعالى غير متناهية كان غاية ذلك طلب زيادة كماله ﷻ وقربه من الله عزّ وجلّ.



وَعَرَّفَهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَ
أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ
الشَّفَاعَةِ أَجَلٌ مَا وَعَدْتُهُ.

«عَرَفَهُ الْأَمْرَ تَعْرِيفاً» أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، وَ عَرَفَهُ بَيْتَهُ: أَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ، وَأَمَّا
عَرَفَهُ بِهِ فَبِمَعْنَى وَ سَمِهِ.

قال صاحب المحكم: قال سيبويه: عَرَفْتَهُ زَيْدًا فَذَهَبَ إِلَى تَعْدِيَةِ
عَرَفَ بِالتَّنْقِيلِ إِلَى مَفْعُولِينَ يَعْنِي أَنَّكَ تَقُولُ عَرَفْتُ زَيْدًا فَيَتَعَدَّى إِلَى
وَاحِدٍ ثُمَّ تَنْقُلُ الرَّاءَ فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولِينَ، قَالَ: وَأَمَّا عَرَفْتَهُ بِزَيْدٍ فَإِنَّمَا
تَرِيدُ عَرَفْتَهُ بِهَذِهِ الْعَلَامَةِ وَأَوْضَحْتَهُ بِهَا فَهُوَ سِوَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَإِنَّمَا
عَرَفْتَهُ بِزَيْدٍ كَقَوْلِكَ سَمَّيْتَهُ بِزَيْدٍ^(١) إِنْتَهَى.

و «أَهْلُ الرَّجُلِ» عَشِيرَتُهُ وَأَقَارِبُهُ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا: أَهْلُ الْكِسَاءِ مَعَ
بَاقِي الْأُتَمَّةِ الْإِثْنَى عَشَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْصَفَهُمُ بِالطَّاهِرِينَ أَيْ النَّقِيِّينَ مِنَ الدَّنَسِ
وَالرَّجَسِ فِي الْمِيلَادِ وَالْأَعْمَالِ الْبَرِّينَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالذُّنُوبِ صِفَاتُهَا وَ
كِبَائِرُهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(٢).

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ:
إِنْتِنِي بِزَوْجِكَ وَابْنِيهِ، فَجَاءَتْ بِهِمْ، فَأَلْقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمُ كِسَاءً
فَذَكَّيًّا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: اأَلَلَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ مُحَمَّدٍ وَفِي نَسْخَةِ
لَفْظِ (آلِ مُحَمَّدٍ) فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى

آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي، وقال إنك على خير^(١).

وفي هذا المعنى روايات كثيرة سيأتي ذكر شيء منها إن شاء الله تعالى. و «الشفاعة» قيل: هي إصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع إليه، وهذا دوري والأولى أن يقال: هي السؤال في التجاوز عن الذنب من الذي وقع الجناية في حقّه، ويقال: شفّعت في الأمر شفاعة إذا طالبت بوسيلة أو ذمام.

و المراد بحسن الشفاعة: قبولها و الرضا عمّن شفّع فيهم و بتعريفه ذلك: أن ينجّز له وعده به فيعرفه واقعاً متحققاً معرفة شهوديّة حضوريّة و إن كان هو الآن به عالماً علماً يقينياً، فإنّ الأشياء قبل وجودها تكون معلومة للعالم بها و بعد وجودها تكون مشهودة له، و إنّما استعمل التعريف في هذا المعنى لأنّه إذا شاهده عرف أنّه ذلك الذي علم به من قبل فكأنّه عرفه إيّاه، و ما قيل: من أنّ معنى عرفه: أذقه بعيد جداً، و أبعد منه قول بعضهم: يجوز أن يكون من العرف بالفتح، بمعنى الرائحة الطيّبة و أن يكون من العُرف بالضمّ بمعنى المعروف بل لا يكاد يصحّ. و إنّما دعا الله تعالى بذلك مع العلم بأنّه لا يخلف الميعاد لأنّه سأل له أجل الموعود و عدم الخلف يصدق على إنجاز أدناه و إن لوحظ سعة كرمه تعالى فلا يكون اللائق به جلّ شأنه إلّا إنجاز أجلّ ما وعد خصوصاً مع أحبّ خلقه إليه و أكرمهم لديه فلأنّ معظم الغرض في الدعاء إظهار سماء العبوديّة، أو

١١٦ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

المراد: وفق أهل شفاعته للأعمال التي بها يصيرون أهلاً لأجل ما وعدته به من حسن الشفاعة وأعصمهم عما لا يستحقون به ذلك كما في قوله تعالى: «رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ»^(١).

فإن قلت: كيف تكون الشفاعة في أهله الطاهرين وهم معصومون من جميع الذنوب وقد قال ﷺ: «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، وأما المحسنون فما عليهم من سبيل»^(٢).

قلت: قد علمت أن معظم الغرض في الدعاء إظهار سياء الإفتقار والعبودية فلا منافاة، أو المراد بالشفاعة فهم شفاعته مخصوصة لا السؤال في التجاوز عن الذنوب ولذلك عبر بحسن الشفاعة، وسيأتي أن الشفاعة على أقسام، منها رفع الدرجات، وفي الحديث: «إنه لا يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو محتاج إليه ﷺ يوم القيامة»^(٣).

و يحتمل أن يكون المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم لا الشفاعة لهم وكذا شفاعته أئمة المؤمنين فتكون «في» من قوله «في أهله الطاهرين» متعلقاً بوعدته، أو هي للمصاحبة بمعنى مع كقوله تعالى: «أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ»^(٤) أي معهم فيكون ظرفاً مستقراً في محل نصب على الحال من الضمير المنصوب في عَرَفَهُ لا متعلقاً بالشفاعة، والمعنى عَرَفَهُ مع أهله

١- آل عمران: ١٩٤.

٢- سعيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣٦، ح ٣٥.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٤٠٥، رسالة أبي عبد الله ﷺ إلى جماعة من الشيعة.

٤- الأعراف: ٣٨.

الطاهرين وأُمتُهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجَلَ مَا وَعَدْتَهُ مِنْ حَسَنِ الشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا يَكُونُ الْمَشْفُوعُ فِيهِمْ لَهُ ذِكْرٌ هُنَا، وَقَدْ ثَقُلَ إِجْمَاعُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً»^(١)، عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ.

وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا آلِ يَوْمٍ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ»^(٢) قَالَ: ذَاكَ النَّبِيُّ عليه السلام وَعَلَى عليه السلام يَقُومُ عَلَى كَوْمٍ قَدْ عَلَا عَلَى الْخَلَائِقِ فَيُشْفَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا عَلِيٌّ إِشْفَعْ فَيُشْفَعُ وَيُشْفَعُ، الرَّجُلُ فِي الْقَبِيلَةِ وَيُشْفَعُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَيُشْفَعُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلَيْنِ عَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ^(٣).

وَعَنْهُ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ»^(٤) قَالَ: شَفَاعَةُ النَّبِيِّ «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ»^(٥)؛ شَفَاعَةُ عَلِيٍّ، «أَوْ لَكَ لَكُمْ هُمْ الصَّدِّيقُونَ»^(٦) شَفَاعَةُ الْأُئِمَّةِ^(٧).

وَرَوَى أَنَّ أَقْلَ الْمُؤْمِنِينَ شَفَاعَةُ مَنْ يُشْفَعُ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا^(٨)،
وَالْأَخْبَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

١-الإسراء: ٧٩.

٢-الجمالية: ٢٨.

٣-المنال لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ١٦٥.

٤-يونس: ٢.

٥-الزمر: ٣٣.

٦-الحديد: ١٩.

٧-المنال لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ١٦٥.

٨-بحار الأنوار: ج ٨، ص ٥٨، ح ٧٥.

وإن حملت معنى أهله الطاهرين عليهم السلام على الذين هم أعم من المعصومين عليهم السلام وفسرت الطهارة بالطهارة في الميلاد والنسب، فلك جعل الشفاعة فيهم وفي أئمة المؤمنين، وكانت (في) متعلقة بالشفاعة فيكون أهله وأئمة هم المشفوع فيهم، كما روي عنه عليه السلام إنه قال: أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب ^(١).

وعن ابن عباس: في قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يَغْفِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» ^(٢) ولسوف يشفعك يا محمد يوم القيامة في جميع أهل بيتك تدخلهم كلهم الجنة ترضى بذلك عن ربك ^(٣).

وعن علي عليه السلام: أنه قال عليه السلام: إذن لا أرضى واحد من أمتي في النار ^(٤).

وعن الصادق عليه السلام: رضا جدي عليه السلام أن لا يدخل النار موحد ^(٥).
ولقد أغرب من زعم أن المراد بحسن الشفاعة، الشفاعة الحسنة في قوله تعالى: «مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا» ^(٦).

ثم قال: وقد فسرت الشفاعة الحسنة بالشفاعة فيما يجوز في الدين والدعاء للمؤمنين أو أن يصير الإنسان شفيع صاحبه في جهاد عدوه

١- ما يقرب منه في المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ١٦٤.

٢- الضحى: ٥.

٣- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ١٦٥.

٤- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج ٣، ذيل الآية ٥ من السورة الضحى.

٥- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج ٣، ذيل الآية ٥ من سورة الضحى.

٦- النساء: ٨٥.

في معنى الشفاعة ١١٩.

لتحصيل الغنمة عاجلاً والثواب آجلاً والإصلاح بين الإثنين، و
الشفاعة السيئة: بعكس هذا قال: والتفسير الأخير بعيد في هذا المقام^(١)
إنتهى كلامه ولا يخفى بعده عن الصواب.

تنمة

قال بعض العلماء: الشفاعات خمس:

الأولى: الإراحة من هول الموقف، وهذه يشترك فيها جميع الأمم كما
دلّت عليه الأخبار.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

الرابعة: في إخراج من أدخل النار من العصاة.

الخامسة: في رفع الدرجات.

وأنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة الرابعة، وتمسكوا بقوله
تعالى: «لَمَّا تَنفَعَهُمْ شَفْعَةُ الشَّافِعِينَ»^(٢) وقوله تعالى: «مَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»^(٣).

وأجيب بأن هذه الآيات في الكفار، ومذهب أصحابنا والأشاعرة
جواز الشفاعة عقلاً وجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ
الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا»^(٤). وقوله تعالى:

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٨٤ نقلاً بالمعنى.

٢- المذخر: ٤٨.

٣- غافر: ١٨.

٤- طه: ١٠٩.

١٢٠.....الرسول الأعظم على لسان حفيده.

«وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ»^(١) وقد جاءت الأخبار التي مبلغها التواتر بصيغة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين جعلنا الله ممن تناله شفاعته نبيه وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.



يَا نَافِذَ الْعِدَّةِ، يَا وَافِيَ الْقَوْلِ، يَا
مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنْ
الْحَسَنَاتِ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

«نافذ العدة» - بالذال المعجمة - أي ماضياً، من نفذ السهم كتفد
نفوذاً: إذا خرق الرمية وخرج منها، أي لا خلف لعدته بل هي ماضية لا
مردّها كالسهم النافذ لا مردّله ولا وقوف.

و «العدة» الوعد، وأصلها وغدة بالكسر استنقلت الكسرة على
الواو فنقلت إلى العين ثم حذفت الواو ولزمت تاء التأنيث عوضاً منها.
قال الفراء: يقال: وعدته خيراً أو وعدته شراً بإسقاط الألف^(١).
فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير: وعدته، وفي الشر: أوعدته
بالألف، وفي الخير: الوعد والعدة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد، فإذا قالوا
أوعدته بالشر: أثبتوا الألف مع الباء.
قال صاحب المحكم: وقال ابن الأعرابي: أوعدته خيراً بالألف وهو
نادر وأنشد:

يَسْطِي مِرَّةً وَيُوعِدُنِي فَضْلاً طَرِيقاً إِلَى آيَادِهِ^(٢)
والخلف في الوعد عند العرب كذب، وفي الوعيد كرم قال الشاعر:
إذا وعد السّراء أنجز وعده وإن أوعد الضّراء فالعفو مانعه
ولخفاء الفرق في ذلك من كلام العرب إنتحل بعض أهل البدع القول
بوجوب الوعيد قياساً على الوعد لجهلهم باللغة العربية.
وقد نقل: أن أبا عمرو بن العلاء نبّه عمرو بن عبيد وهو طاغية

١- تاج العروس: ج ٢، ص ٥٣٦.

٢- المحكم لابن سيده: ج ٢، ص ٢٣٧.

المعتزلة على ذلك فلم يقبل^(١).

حكى المبرد: عن أبي عثمان المازني قال: حدّثني محمد بن مسعر، قال: جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء و عمرو بن عبيد في مسجدنا، فقال له: أبو عمرو ما الذي يبلغني عنك في الوعيد؟ فقال: إنّ الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده و وعيده فقال أبو عمرو: أبيت أبا عثمان إلاّ العجمة ولا أعني عجمة لسانك، ولكن فهمك أنّ العرب تعدّ الرجوع عن الوعد لوماً وعن الوعيد كرمّاً وأنشد.

و اتّي إذا أو عدته أو وعدته تخلف إيعادي ومنجز موعدِي^(٢)
و ذلك أنّ الوعد حقّ عليه، والوعيد حقّ له، ومن أسقط حقّ نفسه فقد أتى بالجود والكرم. ومن أسقط حقّ غيره فذلك هو اللّوم، فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد، على أنّ كلّ ما ورد من وعيد الفسّاق فهو مشروط بعدم العفو كما أنّه مشروط بعدم التوبة و فاقاً فلا يلزم من تركه الكذب في كلام الله تعالى.

و «و اتّي القول» أي صادقه يقال: و في و أوفى بمعنى.

و «القول» الكلام. و قيل: القول في الخير، و القال و القيل و القالة في الشرّ.

قوله ﷺ: «يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات» إشارة إلى قوله تعالى: «الَّذِينَ تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَغَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ»^(٣) عن ابن عباس، و الحسن و مجاهد، و قتادة: إنّ

١-المصباح المنير: ص ٦٦٥.

٢-المصباح المنير: ص ٦٦٥.

٣-الفرقان: ٧٠.

في معنى الوعد والوعيد ١٢٣.

هذا التبديل إنما يكون في الدنيا فيبدلهم بالشرك إيماناً و يقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً^(١).

فبشّرهم الله أنه يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة إذا تابوا و آمنوا و عملوا سائر الأعمال الصالحات.

و قال الزجاج: السيئة بعينها لا تصير حسنة، ولكن السيئة تمحى بالتوبة و تكتب الحسنة مع التوبة^(٢).

و ذهب سعيد بن جبير: إلى ظاهر الآية و هو أنه تعالى يحو السيئة عن العبد و يثبت له بدلها الحسنة و أكد هذا الظاهر بما روى مرفوعاً: لِيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يبدّل سيئاتهم حسنات^(٣).

و قال القاضي و القفال: إنه تعالى يبدّل بالعقاب الثواب، فذكر السبب و أراد المسبّب^(٤).

و قيل: يبدّل بملكة المعصية و دواعيها في النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الأولى و يأتي بالثانية.

و روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي جعفر و إبراهيم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: قال إذا كان يوم القيامة أوقف الله المؤمن بين يديه و عرض عليه عمله فينظر في صحيفته فأول ما يرى سيئاته فيتغير عند ذلك لونه، فيقول الله عزّ وجلّ: بدّلوا سيئاته حسنات و أظهروها للناس

١- مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ١٨٠، مع اختلاف يسير في العبارة.

٢- التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٤، ص ١١٢.

٣- الدر المنثور: ج ٥، ص ٧٩ - ٨٠.

٤- أنوار التنزيل: ج ٢، ص ١٥١، و التفسير الكبير: ج ٢٤، ص ١١٢.

١٢٤ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

فيبيد بها الله لهم. فيقول الناس: أما كان هؤلاء سيئة واحدة و هو قوله تعالى: «يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» (١)(٢).

و في رواية عن الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة تجلّى الله تعالى لعبده المؤمن فيقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم يفر له لا يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ، ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثم يقول: لسيئاته كوني حسنة (٣)، و روى مسلم في صحيحه مرفوعاً إلى أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه و يخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا و كذا، و هو مقر لا ينكر، و هو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي ذنباً ما أراها هاهنا قال: و لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه (٤).

فإن قلت: الآية إنما دلّت على تبديل السيئات حسنات فما بال الأضعاف الواقعة في الدعاء؟

قلت: أما على القول بأنّ هذا التبديل يكون في الدنيا إمّا بالتوفيق للأعمال الصالحة بعد الأعمال السيئة كما نقل عن ابن عباس (٥)، و إمّا تبديل ملكة المعصية بملكة الطاعة فوجه الأضعاف ظاهر لأنّ «مَنْ جَاءَ

١- الفرقان: ٧٠.

٢- تفسير القمي: ج ٢، ص ١١٧.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٣.

٤- صحيح مسلم: ج ١، ص ١٧٧، ح ١٩٠/٣١٤، مع اختلاف يسير في العبارة.

٥- كتاب مجموعة من التفسير: ج ٤، ص ٤٥٨.

فيمىن جاء بالحنسنة فله عشر أمثالها ١٢٥.

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»^(١) بنص الكتاب.

و أما على القول بأن التبديل يكون في الآخرة كما دلت عليه الأخبار المذكورة. فالظاهر أنه إذا بذل سيئة العبد حسنة فكأنه جاء بالحنسنة، و قد قال تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»^(٢) و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير و لذلك ختم الدعاء بقوله ﷻ: «إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» تذيلاً لما سبق و تقريراً لمضمونه.

و «الفضل» الخير و الإحسان ابتداءً.

و «العظيم» ضدّ الحقير، كما أن الكبير ضدّ الصغير، و كما أن الحقير دون الصغير، فكذلك العظيم فوق الكبير، و يستعملان في الصور و المعاني يقال: رجل عظيم و كبير أي جنة أو قدراً، و هو هنا صفة للفضل كما وقع في التنزيل مكرراً «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»^(٣) و وقع في نسخة مضبوطاً بالضم على أنه صفة له تعالى و الأول أنسب بالمقام، و فيه إيذان بأن جميع الإحسان الواقع و المرجو، رشحة من بحار إفضاله و عظيم إحسانه و نواله، و إن من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لعد إستعداد المحروم و قابليته، نسأل الله أن لا يحرمنا من فضله العظيم و جوده العظيم بجاء نبيه الكريم و أهل بيته الطاهرين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين و الحمد لله رب العالمين.

قم المشرفة

السيد محسن الحسيني الأميني

١٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ

١- الأنعام: ١٦٠.

٢- الأنعام: ١٦٠.

٣- الجمعة: ٤.

الفهارس

• فهرست الآيات الكريمة

• فهرست الأحاديث الشريفة

• فهرست الموضوعات

• مصادر الكتاب

فهرست الآيات

رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
	﴿سورة البقرة﴾ (٢)	
٢٢	فَأُخْرِجَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ	٥٣
٢٢	فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	١٠٨
١٠٦	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٥٢
١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً	٣٨
١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً	٥٤
١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً	٥٨
١٤٣	وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً	٥٥
١٤٣	لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	٥٨
١٧٧	وَأَنِّي أَمْلَأُ عَلَىٰ حُبِّهِ	٩٩
١٧٨	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ	٥٧
١٨٣	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	٥٧
١٩٨	وَأَذْكُرُهُمَا هَذَيْنِ	٧١

رقم الآية اسم السورة الصفحة

﴿سورة آل عمران﴾
(٣)

١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ	٣٨
١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	٥٨
١٢٦	وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	١٠٠
١٣٩	وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ	٧٨
١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا	٣٢
١٩٤	رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ	١١٦

﴿سورة النساء﴾
(٤)

١	وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ	٣٠
٨٤	فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ	٧٣
٨٥	مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ	١١٨

﴿سورة المائدة﴾
(٥)

١٨	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ	٩٤
----	---	----

﴿سورة الأنعام﴾
(٦)

١٢٤	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	٣٤
١٦٠	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا	١٢٥

رقم الآية اسم السورة الصفحة

﴿سورة الأعراف﴾

(٧)

٣٨	أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ	١١٦
٨٦	وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرَكُمْ	٦١
١٤٤	يَسْمُوْنَ إِنِّي أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي	٤١

﴿سورة الأنفال﴾

(٨)

٤	أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ	١١٠
٣٣	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ	٦٧

﴿سورة التوبة﴾

(٩)

٣٠	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ	٩٤
٤٠	وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى	١٠٦
٤٨	وَوَهَبْنَا أَمْرًا لِلَّهِ	٧٢
٤٨	وَوَهَبْنَا أَمْرًا لِلَّهِ وَهُمْ كَاثِرُونَ	١٠٦

﴿سورة يونس﴾

(١٠)

٢	وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ	١١٧
١٨	وَيَقْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ	٩٥

١٣٢ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

<u>رقم الآية</u>	<u>اسم السورة</u>	<u>الصفحة</u>
	﴿سورة هود﴾ (١١)	
٣٤	إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ	٨٤
	﴿سورة يوسف﴾ (١٢)	
٣٢	فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ	٧٣
٤٥	وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ	٣٨
	﴿سورة الرعد﴾ (١٣)	
١٤	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ	٨٥
	﴿سورة النحل﴾ (١٦)	
٣٠	وَلَنِعْمَ ذَاكَ الْمُسْتَقِيمَ	١٠١
١٢٠	إِنْ إِنْزَاهِمُ كَانَ أُمَّةً	٣٨
	﴿سورة الإسراء﴾ (١٧)	
٦٧	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ	٧٩
٧٩	عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً	١١٧

رقم الآية اسم السورة الصفحة

﴿سورة الكهف﴾
(١٨)

٦	فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ تُنْفَخُ عَلَيْكَ ثِيَابُ النِّيرِ	٨٢
٣١	نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا	١٠٢

﴿سورة مريم﴾
(١٩)

٧	لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا	٣٣
---	---	----

﴿سورة طه﴾
(٢٠)

١٠٩	يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ	١١٩
-----	--	-----

﴿سورة الأنبياء﴾
(٢١)

٢٨	وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى	١٢٠
١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	٦٦
١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	٦٨

﴿سورة الحج﴾
(٢٢)

٣٧	لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ	٧٨
----	---	----

رقم الآية اسم السورة الصفحة

﴿سورة الفرقان﴾

(٢٥)

٧٠	إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا	١٢٢
٧٠	يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ	١٢٤
٧٧	قُلْ مَا يَغْبِؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ	٥

﴿سورة الشعراء﴾

(٢٦)

٣	لَعَلَّكَ بَنِيعَ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ	٨٢
---	---	----

﴿سورة القصص﴾

(٢٨)

٨٥	إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ	٨٩
----	--	----

﴿سورة السجدة﴾

(٣٢)

١٤	فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا	١٠٩
----	---	-----

﴿سورة الأحزاب﴾

(٣٣)

٣٣	إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ	١١٤
٤٣	هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ	٢٩
٥٦	صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا	١١٢

<u>رقم الآية</u>	<u>اسم السورة</u>	<u>الصفحة</u>
	﴿سورة سبا﴾ (٣٤)	
٤١	بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ	٩٦
	﴿سورة فاطر﴾ (٣٥)	
٨	فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ	٨٢
٢٤	وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ	٥٣
	﴿سورة يس﴾ (٣٦)	
١٤	فَقَرَّرْنَا بِهَا الْبَاقِ	٩٣
٧٨	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ	٩٥
٧٩	قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ	٩٥
	﴿سورة الصافات﴾ (٣٧)	
١٧٧	فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ	١٠٤
	﴿سورة ص﴾ (٣٨)	
٤٧	وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ	٧٨

رقم الآية اسم السورة الصفحة

﴿سورة الزمر﴾

(٣٩)

٢٠ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ قَوْعِهَا غُرْفٌ مَّبِيئَةٌ ١١٠

٣٣ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ١١٧

﴿سورة غافر﴾

(٤٠)

١٨ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١١٩

﴿سورة الجاثية﴾

(٤٥)

٢٤ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ٩٥

٢٤ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٩٥

٢٨ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ١١٧

﴿سورة محمد﴾

(٤٧)

٢٢ قَهْلَ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ٧٦

﴿سورة النجم﴾

(٥٣)

٨ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٣٦

٩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٣٦

<u>رقم الآية</u>	<u>اسم السورة</u>	<u>الصفحة</u>
	﴿سورة الحديد﴾ (٥٧)	
١٩	أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ	١١٧
	﴿سورة الحشر﴾ (٥٩)	
٦	وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٤٩
	﴿سورة الجمعة﴾ (٦٢)	
٤	وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	١٢٥
	﴿سورة نوح﴾ (٧١)	
٢٣	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا	١٠٧
	﴿سورة المدثر﴾ (٧٤)	
٤٨	لَمَّا تَنفَعَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِينَ	١١٩
	﴿سورة التكوثر﴾ (٨١)	
٢٠	ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ	٦٨
٢١	مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ	٦٨

١٣٨ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

<u>رقم الآية</u>	<u>اسم السورة</u>	<u>الصفحة</u>
------------------	-------------------	---------------

﴿سورة الانشقاق﴾

(٨٤)

٦	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا	١٠٩
---	--	-----

﴿سورة البروج﴾

(٨٥)

٩	وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ	٥٥
---	---------------------------------------	----

﴿سورة الضحى﴾

(٩٣)

٥	وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ	١١٨
---	---	-----

﴿سورة الكوثر﴾

(١٠٨)

١	إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ	٦٠
---	----------------------------------	----



فهرس الأحاديث الشريفة

الأحاديث	الصفحة
الذين يبدل سيئاتهم حسنات	١٢٣
اللَّهُمَّ فَضَّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ	٦٢
اللَّهُمَّ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَمُوسَى نَجِيِّكَ	٦٤
اللَّهُمَّ فَارْقَعُهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ	١٠٩
اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ مُحَمَّدٍ	١١٤
الأنعام: من نجائب القرآن أو نواجب القرآن	٦٣
الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة	١١٠
الوسيلة درجة في الجنة ليس في الجنة درجة	١١١
إتمني بزوجه و ابنه	١١٤
أتدرون بين من أريد أن أقف	١٠
أحب الأرض إلى الله مكة	٩٠
أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها	١١
أخشى أن أقول: لبيك اللَّهُمَّ لبيك	١٠
إذا ابتلّت النعال فالصلاة في الرحال	٨٨
إذا أذنت فأقصص بالآلف	٢٦
إذا ذكر النبي ﷺ فأكثرُوا الصلاة عليه	٢٦

الصفحة	الأحاديث
٢٩	إذا ذكر النبي ﷺ فأكثرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَلَّى
١٢٣	إذا كان يوم القيامة أوقف الله المؤمن
١٢٤	إذا كان يوم القيامة تجلَّى الله تعالى
٢٨	إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة
١١٨	إذن لا أرضى و واحد من أمتي في النار
٩٣	إِزَادَةٌ مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ
٢٩	إرفعوا أصواتكم بالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّهَا تذهب بالنفاق
١١	أصبحنا خائفين برسول الله، وأصبح جميع أهل الإسلام آمنين
٤٨	اطلبوا العلم ولو بالصين
٢٧	أعجل العبد ربَّه
١٧	أعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به
٦٩	إفعلوا الخير ولا تحقرُوا منه شيئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ
١٠	ألا تدرون بين يدي من أقوم و لمن أناجي؟
٦٦	إِمَامُ الرَّحْمَةِ وَ قَائِدُ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحُ الْبَرَكَاتِ
٦٦	أنا نبي الرحمة
٦٨	أنا نبي الملحمة
١١٧	انْ أَقْلَ الْمُؤْمِنِينَ شَفَاعَةُ مَنْ يَشْفَعُ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفاً
٣٩	إن أمتي يأتون يوم القيامة غزاً محجَّلين
٢٧	إنَّ الثَّناءَ عَلَى اللَّهِ، وَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ
٤٥	إنَّ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يَدْخُلَ الَّذِي تَرَاهُ
٢٧	إنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ

الصفحة	الأحاديث
٨	إن صدقة الليل تطفيء غضب الرب
٩١	إن الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة
٩١	إن الطاعم بمكة كالصائم فيها سواها
٦٥	إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل
٥٨	إن الله تعالى إيانا عنى
٧٣	إن الله تعالى كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلفه أحداً من خلقه
٩١	إنّ المقام بها يقسّي القلب
٤٠	إنّ موسى لما نزلت عليه التوراة
٦٦	إنّما أنا رحمة مهداة
١١٦	إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي
٤٦	إنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام
٦٠	إنّه قال: «ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطى من الآيات
٩	إنّه كان إذا جنّ الليل وهدأت العيون
٤٠	إنّه كان فيما ناجى الله تعالى به
١١٦	إنّه لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو محتاج إليه
٨٩	إنّه لما خرج منها مهاجراً التفت إليها فظنّ أنّه لا يعود إليها
٨٣	إنّه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة
٧٦	إنها نزلت في بنى أمية
١٠	إنّي اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى
١١٨	أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب
٧٠	أيّ عرى الإيمان أوثق؟

الأحاديث	الصفحة
أَيُّهَا أَصْغَرُ؟	٤٥
بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا قَبَلْتَهَا، فَقَدْ رَأَى اللَّهُ مَكَانَكَ وَ عَلِمَ نَبِيَّكَ فَقَبِلَهَا	١٧
بَعَثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ	٦٧
بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ، وَتَمَامِ نَبَوِّهِ	٩٤
بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَفْجِرُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلَا يَقُوتُهَا شَيْءٌ	٤٢
تَنَاقَحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي مَكَاثِرُ بِكُمْ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٦٠
حَقِّي أَسْتَتَبُّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أُعْذَاتِكَ	٩٨
حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَ عَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ	١٠٦
حَجَّ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ مَا شِئاً	١٠
خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ غَمْرَةٍ	٨١
دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الطَّائِفِ فَاتَّجَاهَ	٦٤
دَعَاةَ الْحَقِّ: قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	٨٥
ذَاكَ النَّبِيُّ ﷺ وَ عَلِيٌّ يَقُومُ عَلَى كَوْمٍ قَدْ عَلَا عَلَى الْخَلَائِقِ فَيُشْفَعُ	١١٧
رِضَا جَدِّي ﷺ أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ مَوْحَدٌ	١١٨
سَلْ تَعْطُ	٢٧
سَمِعَ سَائِلٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَ هُوَ يَقُولُ	١١
سَمَّانِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ	٣٣
شَفَاعَةُ الْأَنْمَةِ	١٠٩
شَفَاعَةُ عَلِيٍّ	١١٧
شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَاثِرِ مِنْ أُمَّتِي	٣٨
شَفَاعَةُ النَّبِيِّ	١١٧

- ٩٠ صلاة في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة
- ١٢٤ ضحك حتى بدت نواجده
- ١١ عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك
- ٤٥ عما ذا سألك
- ٥٣ فَخْتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلْنَا شَهَادَةً عَلَى مَنْ جَعَدَ
- ١٠١ فَفَزَاهُمْ فِي عَقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ
- ٩٩ فَتَهَدَّ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحًا يَعُونُكَ، وَتُنْقَوِيًا عَلَى ضَعْفِهِ يَنْصُرُكَ
- ١٠٢ فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا
- ٢٩ قال: قال رسول الله ﷺ إرفعوا أصواتكم بالصلاة
- ٩٠ قال: قال رسول الله: صلاة في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف
- ٤٥ قال: نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك
- ٤٦ قيل لأُمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا بيضة
- ٩١ كل الظلم فيها إلحاد حتى ضرب الخادم
- ٩١ كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْعَكْرُوهِ بِدَنَّهُ
- ٦٤ لا يتناجي اثنان دون الثالث
- ٢٨ لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد
- ٩٢ لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكة سنة
- ٦٤ لا ينتهي اثنان دون صاحبها
- ١٠ لقد حجَّ عليه السلام على ناقه عشرين حجة لما قرعها بسوط
- ٨٠ لكل ما قلتم فضلاً، وليس به
- ١٢٣ لِيَتَمَتَّنَ أَقْوَامٌ أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ

الأحاديث	الصفحة
ما انتجيته ولكن الله انتجاء	٦٤
ما أودى نبي مثل ما أوديت	٨١
ما في الميزان شيء أنقل من الصلاة على محمد وآل محمد	٢٩
من آذى ذمياً فقد آذاني	٦٧
من جاور بمكة سنة غفر الله له ذنبه	٩١
من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة	٩١
من ذكرت عنده ولم يصل عليّ دخل النار	٢٥
من ذكرت عنده ولم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله	٢٥
من صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته	٢٩
من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً	١١٣
من صلى على محمد وآل محمد عشراً	٢٩
من قال: مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل على محمد	٩٦
من لم يحبّ على الدين ولم يبغض عن الدين فلا دين له	٨٠
نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه	٥٨
نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام	٥٨
نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك	٤٨
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ	٣٢
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي	٣٩
وَأَذَابَ نَفْسُهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ، وَأَنْتَعَبَهَا بِالدُّعَاءِ إِلَيَّ مِلَّتِكَ	٨١
وَأَقْصَى الْأَذْنَيْنِ عَلَى جُحُودِهِمْ	٧٨
وقع على الأرض معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء	٨٨

الأحاديث	الصفحة
والله إنك لخير أرض الله، وأحبها إلى الله	٨٩
وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ	٧٥
كم قدر الناظر؟	٤٥
ولسوف يشفعك يا محمد يوم القيامة في جميع أهل بيتك	١١٨
وَالِ فِيكَ الْأَبْعَدِينَ، وَعَادِي فِيكَ الْأَقْرَبِينَ	٨٠
وَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْغُرَبَةِ. وَتَحَلَّى الثَّانِي عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ	٨٧
ويلك إن الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممن يلفظ الأرض	٤٧
هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟	٦٨
يا موسى لا أقبل الصلاة إلا بمن تواضع لعظمتي	٤٠
يَا نَاهِذَ الْعِدَّةِ، يَا وَافِيَ الْقَوْلِ	١٢١
يا هشام فانظر أمامك و فوقك وأخبرني بما ترى	٤٥
يا هشام كم حواسك؟	٤٥
يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير	٦٩
يخرج منها أي من جهنم قوم لم يعملوا خيراً قط	٦٩
يؤتى بالرجل يوم القيامة	١٢٤

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٥
الدعاء الثاني من الصحيفة السجادية	٢١
في وجوب أو إستحباب الصلاة على محمد وآل محمد	٢٣
في فضل الصلاة على محمد وآل محمد	٢٩
في إستتاق لفظ محمد ﷺ	٣٢
في زوجات النبي ﷺ وأولاده	٣٧
في بيان معنى القرون السالفة	٣٩
في أن المراد من الأمة الماضية أمة محمد ﷺ	٤١
في معنى الشيء	٤٢
في بيان قدرة الله عز وجل	٤٥
في إنكار الأمم تبليغ الأنبياء ﷺ	٥٣
في إعتبار العدالة في الشهود	٥٧
في فضيلة تكثير أمة محمد ﷺ	٦١
في بيان معنى الوحي في اللغة	٦٢
في بيان معنى الصفوة	٦٥
في بيان معنى الرحمة	٦٦
في بيان معنى الخير	٦٩
في قرار جسده ﷺ للمكروهات	٧١

الموضوع	الصفحة
في معنى الرحم	٧٥
في معنى لفظ الجحود	٧٨
في بيان المراد من الأبعدين والأقربين	٨٠
في ما لا فاء ﷺ من الأذى من أُمَّته	٨١
في بيان المراد من الدعوة	٨٥
في هجرة ﷺ إلى بلاد الغربة	٨٧
في أفضليّة الصلاة في مسجد الحرام	٩١
في أقسام الكفر	٩٣
في معنى جملة أستنتب له الأمر	٩٨
في معنى لفظ نهد	٩٩
في الذين غزاهم ﷺ في عقر ديارهم	١٠١
في أقسام الشرك	١٠٦
في بيان معنى لفظي المنزل والمرتبة	١٠٩
في معنى الشفاعة	١١٤
في معنى الوعد والوعيد	١٢١
فيمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	١٢٥
الفهارس	١٢٧
فهرست الآيات الكريمة	١٢٩
فهرست الأحاديث الشريفة	١٣٩
فهرست الموضوعات	١٤٧
مصادر التحقيق	١٤٩

مصادر التحقيق

- ١- الإرشاد: للشيخ المفيد، قم - إيران.
- ٢- أساس البلاغة: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، منشورات مكتب الإرشاد الإسلامي، قم - إيران.
- ٣- الإعتقادات في دين الإمامية: للشيخ الصدوق، منشورات محلاقي، قم - إيران.
- ٤- الأغاني: لأبي الفرج الإصفهاني، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٥- أنوار التنزيل و أسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي، منشورات الكعبة، طهران - إيران.
- ٦- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
- ٧- بداية المجتهد و نهاية المتقصد: للإمام محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، منشورات الرضي، قم - إيران.
- ٨- البداية و النهاية: لابن كثير الدمشقي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٩- البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني،

منشورات إسماعيليان، قم - إيران.

١٠- بصائر الدرجات: للشيخ محمد بن حسن الصفار، منشورات

الأعلمي، طهران - إيران.

١١- تاج العروس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي.

١٢- تذكرة الخواص: للعلامة سبط ابن الجوزي، منشورات مكتبة

نينوى، طهران - إيران.

١٣- ترجمه الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام من تاريخ

مدينة دمشق: لابن عساكر، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية،

طهران - إيران.

١٤- الترغيب و الترهيب: للإمام عبد الله المنذري، منشورات دار

الفكر، بيروت - لبنان.

١٥- تفسير العياشي: لمحمد بن مسعود بن عياشي السلمي

السمرقندي المعروف بالعياشي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية،

إيران - طهران.

١٦- تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان: للعلامة حسن بن

محمد بن حسين القمي النيسابوري في هامش جامع البيان في تفسير

القرآن للطبري، منشورات دار الجليل، بيروت - لبنان.

١٧- تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي، منشورات دارالكتاب،

قم - إيران.

١٨- تفسير الكبير: للفخر الرازي، الطبعة الثالثة، قم - إيران.

١٩- تفسير نور الثقلين: للعلامة الحويزي، منشورات دار الكتب

العلمية، قم - إيران.

٢٠- التوحيد: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.

٢١- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام النووي.

٢٢- تهذيب اللغة: للأزهري.

٢٣- ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.

٢٤- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، منشورات دار الجليل، بيروت - لبنان.

٢٥- الجامع الصغير: للإمام السيوطي، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٦- حلية الأولياء: لأبي نعيم الإصهاني، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٧- الخصال: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم - إيران.

٢٨- الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم - إيران.

٢٩- الدروس الشرعية في فقه الإمامية: للإمام محمد بن مكي العاملي الشهيد، منشورات صادقي، قم - إيران.

٣٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للعلامة آقا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

٣١- زبيح الأبرار: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.

١٥٢ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

٣٢- روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.

٣٣- زبدة البيان في أحكام القرآن: للمحقق الأردبيلي.

٣٤- سنن ابن ماجه: لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٥- سنن أبي داود: لابن داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة، بيروت - لبنان.

٣٦- السيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٧- شذور الذهب: لابن هشام النحوي الأنصاري، منشورات دار الهجرة، قم - إيران.

٣٨- شرح الشافية: للرضي الاسترابادي، منشورات المكتبة المرتضويّة.

٣٩- شرح الكافية في النحو: للرضي الاسترابادي، منشورات المكتبة المرتضويّة للإحياء الآثار الجعفرية.

٤٠- شواهد التنزيل: للحاكم المحسّاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران.

٤١- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دارالعلم للملّات، بيروت - لبنان.

٤٢- صحيح البخاري: للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤٣- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٤- علل الشرايع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

٤٧- الغريبين: للهروي، مخطوط في مكتبة جامعة طهران.

٤٨- الفقه على المذاهب الأربعة: لعبد الرحمن الجزيري، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٩- القاموس المحيط: للفيروز آبادي، منشورات - دارالمعرفة، بيروت - لبنان.

٥٠- الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دارالكتب الإسلامية، طهران - إيران.

٥١- كتاب السيوطي: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي.

٥٢- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، قم - إيران.

٥٣- كشف الغمّة في معرفة الأئمة: للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى ابن أبي فتح الإرييلي، منشورات دار الكتب الإسلامية، بيروت - لبنان.

٥٤- الكنى و الألقاب: للمحدّث الشيخ عباس القمي، منشورات مكتبة الصدر، طهران - إيران.

١٥٤ الرسول الأعظم على لسان حفيده.

٥٥- لسان العرب: لأبي منظور، منشورات دار صادر، بيروت - لبنان.

٥٦- مجمع البيان للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥٧- مجمع الزوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥٨- المجموع شرح المذهب: للإمام محيي الدين النووي، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٥٩- المحكم في اللغة: لابن سيده.

٦٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل: منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦١- المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة ايران - قم.

٦٢- معالم العلماء: للحافظ الشهيد محمد بن علي بن شهر آشوب السروي، منشورات المطبعة الحيدرية، نجف الأشرف.

٦٣- معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم - ايران.

٦٤- معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٥- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.

٦٦- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد الطبراني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٧- مغني اللبيب: عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، منشورات مكتبة بني هاشمي، تبريز - إيران.

٦٨- المفردات في غريب القرآن: للراغب الإصفهاني، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران.

٦٩- مكارم الأخلاق: لأبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات النشر الإسلامي، قم - إيران.

٧٠- مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، منشورات مؤسسة العلامة، قم - إيران.

٧١- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دارالكتب الإسلامية، طهران - إيران.

٧٢- الموطأ: للإمام مالك بن أنس، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧٣- النهاية في غريب الحديث و الأثر: لابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلامية، بيروت - لبنان.

٧٤- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، قم - إيران.

٧٥- وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران - إيران.

